شعارنا التوحيد الى الإسلام من جديد

العـــدد الخامس

المجـــلد ٣٦ — محرم الحرام ١٤١٢ه — يوليو و أغسطس ١٩٩١م

البعث الإسلامي

تصدرها:
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣ لكناؤ، الهند

72336 — 73864

REGD No. LW/NP 59

ALBAAS-EL-ISLAMI

صدر حديثاً :

أبو الحسن علي الحسني الندوي

مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج

دروس وعبر يجب أن ينتفع بها

وفجوات وثغرات يجب أن تسدَّ

ملتزم النشر و التوزيع
دار عرفات للترجمة ، والنشر و التوزيع
دارة الشيخ علم الله ، رائى بريلى (الهند)

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوى من مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء
رئيس التحرير : سعيد الأعظمى

إلى الاخوة القراء

بمشيئة الله تعالى و توفيقه دخلت المجلة فى عامها **السادس و الثلاثين**، و لا يسعنا تجاه هذا التوفيق الكريم إلا أن نحمد الله سبحانه و تعالى و نشكره بصفة دائمة، على ما أكرم به إيانا من الاستمرار فى خدمة البعث الاسلامى، و نرجو أن يؤيدنا بالاستقامة و الثبات و الصمود فى هذه الجبهة الدقيقة، و خاصة فى الظروف الحالية الحرجة التى تتعرض لها الأمة الاسلامية، وهى أخطر و أدق مرحلة من تاريخها الحاضر، و إن أدنى خطأ فيها يوديها إلى نتائج مريرة و وخيمة جداً، لا يعلم مداها إلا الله، فلندع الله أن يثبتنا على الجادة، و يأخذ بأيدينا لأداء أمانة الكلمة و القيام بها فى هذه المرحلة الدقيقة التى تزل فيها الاقدام و تتثبط فيها الهمم «ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم».

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : ستون روبية

ثمن النسخة ست روبيات :

★ فى العالم العربى وفى جميع دول العالم .

١٨/ دولاراً بالبريد السطحى .

و ٣٥/ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

مكتب البعث الاسلامى ،

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ (الهنـــــد)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o. NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها .

في هذا العدد

★ الافتتاحيـــــــــة

واقع المخططات المأسوية فى خلفية التاريخ — سعيد الأعظمى — ٢

★ التوجيـــــــــه الاسلامى

مستقبل الأمة العربية الاسلامية بعد حرب الخليج — سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى — ١٠

رقابة النفس الذاتية — دكتور محمد بن سعد الشويعر — ٢٥

★ الدعوة الاسلاميـــــــــة

الأمة الاسلامية و المشكلات العالمية — الأستاذ واضح رشيد الندوى — ٣٣

★ دراســـــات و أبحـــــاث

تعليم العلوم من خلال وجهة النظر الاسلامية — دكتور سيد حسين نصر — ٣٨

فاكهة المجالس الغنية — دكتور عمر يوسف حمزة — ٤٤

كعب بن زهير ، نسبه و شعره — الأستاذ المحقق أبو محفوظ الكريم معصومى — ٥٦

★ القضايا المعاصرة فى ضوء الكتاب و السنة

المفهوم الصحيح للضرورة — الأستاذ محمد خالد سيف الله الرحمانى — ٦٩

المنهج الاسلامى لمشكلة التعليم و التربية — الأستاذ على عبد الموجود القاضى — ٧٤

★ نماذج من نســـــــــاء العقيدة

بركة (أم أيمن) — فضيلة الأستاذ محمد حسن بريغش — ٧٩

الحج و فوائد الفردية و الجماعية — فضيلة الشيخ المفتى فضيل الرحمن هلال العثمانى — ٨٦

احتفال العيد فى الاسلام — الدكتور توفيق شاهين — ٨٩

★ أخبار اجتماعية و ثقافية

الدكتور عبد المنعم النمر

١- المفاقيد الغالية من الأسانيد العالية — فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوى — ٩٥

٢- الفرجة من الانجليزية إلى العربية — قلم التحرير — ٩٥

٣- نبوءات الرسول صلى الله عليه وسلم . . . — » » — ٩٦

— » » — ٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــــة :

واقع المخططات المأسوية فى خلفية التاريخ

مع استهلال العام الهجرى الجديد تتجدد ذكريات حزينة من الأحداث والمآسى التى هزت العالم كله ، وعرفها الناس بمأساة الخليج ابتداءاً من ٢/ أغسطس ١٩٩٠م (الموافق ١٠/ محرم الحرام ١٤١١هـ) فقد كان ذلك حادثاً غريباً جداً ، و كان منعدم النظير من بعض جوانبه و تأثيره العميق الذى خلفه على المجتمعات الاسلامية فى الدول الاسلامية و المجموعات المسلمة التى تعيش فى جميع دول و بلدان المعمورة .

ولكنه بالتعبير الأصح كان فتنة عمياء شملت فئات المسلمين و طبقاتهم كلها ، و أثارت الدوافع النفسية فيهم التى سببت توتر الأعصاب و تشنج الأطراف ، و تمثلت فيها نفيسة عامة المسلمين بكل وضوح ، و ظهرت فيها جوانب كثيرة مما يعيشون من العاطفية و الحماسة الزائدة فى غير محلها ، والتسرع فى الحكم من غير تحقيق ولا بينة ، والتطرف المشين فى جميع الشئون السياسية والعقدية ، وصرف النظر عن الحقائق ، و الجرى وراء الهتافات الكاذبة و اللافتات المزورة .

إن الجرح الكبير الذى أصيب به جسم الأمة الاسلامية نتيجة لهذه المأساة ، لا يزال ينكأ و يسيل بالدم و الصديد ، و يشكل فيه ناسوراً خطيراً ، فلو لا أن المجهودات المخلصة التى بذلت فى علاجه وقطع دابر الفساد فى هذا الجسم الغالى ، لأدى ذلك إلى تغير وجهات الأنظار نحو مستقبل هذه الأمة ومستقبل الاسلام ، وحلت محلها فلسفة جديدة للحياة و نظرة متغيرة نحو الكون و الانسان ، مما لا

يمت إلى الاسلام و تعاليم الشريعة الاسلامية بصلة ، ولا مرية فى أن ما حدث فى صورة هذه الأحداث الخليجية لم يكن أمراً ارتجالياً أو حادثاً مصادفاً ، إنما كانت خطة مدبرة لها جذور عميقة نماها و سهر عليها الحاقدون على الاسلام والمسلمين الذين يتربصون بهم الدوائر ، ويبذلون محاولات جادة فى سبيل العودة بالمسلمين إلى عهدهم الجاهلى المظلم ، و تجريدهم عن معنوياتهم التى جعلتهم أفضل أمة على وجه الأرض فى جميع الشئون الكونية و البشرية ، و منحتهم زمام القيادة العالمية و الخلافة الأرضية .

ليس ذلك إلا امتداداً للحقد الغربى الصليبى الذى لم يفتر فى يوم من الأيام عن العمل الجاد ضد الاسلام ، وعن استعباد المسلمين فكرياً و عملياً ، وإضعاف العالم الاسلامى بوجه خاص والاستيلاء على ثرواته وخيراته الطبيعية التى كان مطمعهم الكبير من قديم ، و منذ أن فجر الله فى الأراضى العربية ينابيع البترول سال عليها لعاب الدول الغربية الحاقدة فهى لم تصبر حتى وضعت خططا رهيبة للسيطرة عليها ، و إلا بتجفيفها و القضاء عليها ، بحيث يعود العالم الاسلامى العربى بكامله فقيراً فى الوسائل المادية إلى الدول الغربية ويتسنى لها فرض نفوذها السياسى والاقتصادى على الدول العربية التى ملكت — بمشيئة الله تعالى — هذه المعادن و الثروات الطبعية ، فاذا نظرنا من خلال هذا المنظار إلى ما حدث من الغزو العسكرى فى منطقة الخليج العربى، وإلى إسهام الدول الغربية فى مقاومة ذلك الغزو ، توافر لنا أكثر من دليل على ما يمارسه الحقد الغربى و الأحقاد الصليبية من نشاطات فى سبيل النقمة من الدول العربية الاسلامية و إخضاعها تحت سيطرتها .

يرجع تاريخ هذا الحقد الصليبى إلى القرن الخامس الهجرى يوم نهض الملك العادل نور الدين زنجى بمحاربة الصليبيين وإجلاء النصارى عن بلاد الشام وفلسطين ،

و قامت حملات صليبية استمرت نحو مأتى عام كان فيها للسلطان صلاح الدين الأيوبى دور كبير بعد وفاة الملك العادل، فقد وقف موقفاً صلباً من هذه الحملات و وضع كل طاقاته و إمكانياته فى دحر هذه الفتنة و استرداد بيت المقدس من أيدى الصليبيين ، و تحرير المسلمين من براثن الحقد النصرانى ، ومنذ ذلك اليوم ثارت ثائرة أوربا ضد العالم الاسلامى ، و تفاقم الحقد الصليبى على المسلمين ، الذى لم يأل جهداً فى الانتقام من أهل هاتيك الدول الاسلامية و الانتصار على الدين الاسلامى ، وفصل المسلمين العرب بوجه خاص عن تراثهم الدينى والخلقى و العقدى ، و ما قضية فلسطين المعقدة اليوم واحتلال بيت المقدس ، وإسكان الوحدات اليهودية العالمية فى فلسطين باخراج أهلها من ديارهم ومقدساتهم ، ليس كل ذلك إلا ثمرة من ثمار الحقد الغربى العالمى ، الذى هو مكب على وضع المخططات الرهيبة للقضاء على الميزة الاسلامية فى بلدان ومجتمعات الدول الاسلامية ، و منهمك فى تعميق جذور السرطان الاسرائيلى فى جسم العالم الاسلامى كله .

و تأتى الحضارة الغربية بحدها وحديدها و تغزو بلاد المسلمين و مجتمعاتهم كسلسل من مسلسلات الهجمات الصليبية على المسلمين ، و تقوم بعملية تشويه الحقائق وقلب المفاهيم و تأكيد أن الاسلام ليس له مفهوم حضارى ، و لا فكر سياسى ، إنما هو دين العبادة و الدعاء و العقيدة ، أما عمارة الأرض و تطوير الحياة و المجتمع ، و تفجير الطاقات المادية وتحويلها إلى تقنية وحضارة وصناعات راقية و منتجات إنسانية فاخرة فليس من شأن الاسلام ، و كذلك ترقية العلوم و الحدب على إيجاد الوسائل والامكانيات ، و بناء الانسان الحضارى والمجتمعات الحضارية إنما يختص بهذه الحضارة ، و لا يسع الاسلام أن يسهم فى مثل هذه المعارف و الصناعات و الحضارات المادية ، نظراً إلى أنه دين و عقيدة و عبادة

و خشوع ، لا علاقة له بالسياسة و الحكم و لا بالقيادة و النظم . . . . و هكذا تزرع هذه الحضارة المادية شكوكا فى نفوس المسلمين و تقنعهم على أقل تقدير بفصل الدين عن الدولة ، و العلم عن الايمان .

وقد احتلت الصليبية الحاقدة على جميع جبهات الحرب التى تشن منها الغارة على العالم الاسلامى ، ومن بينها جبهة الاعلام الغربى الذى يتركز اليوم من الألف إلى الياء على نشر برامج هدامة للقيم والأخلاق ، وهو بجميع أنواعه الثلاثة المقروءة و المرئية و المكتوبة يوجه إلى العالم الاسلامى و يفرض سيطرته على المجتمع رجالا و نساءاً و أطفالا و شيوخاً و شباباً ، و يهيمن على النفوس و ينال منها كل منال ، و لقد اتفقت الآراء على أن لا وسيلة أكثر هدماً للحياة و تحويلا لها من الخير إلى الشر ومن البناء إلى الهدم من الاعلام ، وبذلك يتحقق - لاقدر الله - حلم أعداء الاسلام فى تعرية المسلمين عن روح الاسلام بتاتاً ، كما جاء فى تعليمات الفاتيكان التى أعدت بياناً يتضمن التوجيهات الكنسية للبشرين المسيحيين يقول :

« ليست مهمتكم أن تدخلوا المسلمين إلى النصرانية و تحولوهم من دينهم إلى دينكم ، فان ذلك تكريم لهم ، و إنما مهمتكم أن تخرجوا المسلمين من الاسلام ليصبحوا مخلوقات لا صلة لها بالله (تبارك و تعالى) و لا صلة لها بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم » .

و لقد نجح الحقد الصليبى فى إثارة شعور القومية فى العالم الاسلامى ، وقامت هناك حركات قومية تنحاز إلى العنصر القومى وترمى إلى إضعاف الشعور بالوحدة الاسلامية وتوزيع المسلمين بين خلايا متعددة ، قومية ووطنية وجنسية ولونية و لغوية و دموية ، و قد كان الهدف الأول لهذه الحركات القومية التى تناولها الصليبيون بالتشجيع والرعاية ، الخلافة العثمانية التى تم إلغاؤها نتيجة للشعور بالقومية

العربية فتوزعت الخلافة بين دويلات وإمارات تعيش تحت الانتداب البريطانى ، وأسدل الستار على فصول هذه الخلافة العثمانية التى أرهبت أوربا وحكمت عقول الأوربيين على أكبر رقعة من العالم إلى مدة طويلة ، فكانت هذه الخلافة أول دولة تخاف منها أوربا وترعد فرائصها رهبة من الخلفاء العثمانيين .

و لا شك فقد خسر المسلمون قوتهم و معنويتهم فى هذه الحقبة المشئومة من التاريخ ، و عاشوا فى زوايا الخمول و اليأس ، ونشطت خلال ذلك حركات هدامة بأسماء جذابة و لافتات لماعة ، كالتبشير ، و الاستعمار ، و الماسونية ، والصليبية والصهيونية العالمية ، و ما إلى ذلك من حركات و دعوات و نظرات وفلسفات وحضارات مادية وأخفقت فى برامجها وأهدافها ، فبعث الله تعالى الاسلام فى القلوب من جديد و ظهرت صحوة إسلامية شملت العالم كله ، و لفتت الأنظار مرة أخرى إلى منهج الحياة للاسلام رجاء أن يجد الناس فيه ما يزيل همومهم و أحزانهم ، و يحل مشكلاتهم و قضاياهم و يتكفل لهم بالأمن فى الأرواح ، والأموال ، ويكرمهم بالهدوء والطمأنينة ، وقد لقيت هذه الصحوة ترحاباً كبيراً وإعجاباً عظيماً من كل طبقة من الناس فى كل بلد وقطر ، مما جعل الدول والمعسكرات الكبرى تنوجس خيفة منها على مستقبلها ، و تمثل الحقد الصليبى فى هذه المناسبة كأعظم عدو لها ، فجعل يتربص لها بالدوائر ، و يبذل جهوداً فى تجفيف منابعها التى تستمد منها الصحوة عوناً مادياً ومعنوياً ، وكانت الكويت والمملكة السعودية فى مقدمتها ، وكانتا من أعظم مؤيديها بالاسهام العملى بالمال والرجال ، والوسائل المادية و المعنوية شعباً و حكومة .

و لعل هذه المأساة المتعدمة النظير ذات المساحة الواسعة نتيجة لهذا الحقد الذى قام بتخطيط كبير و دقيق منذ عهد بعيد كمحاولة للانتقام من أهلها الخيرين

و لسد منابع الخير و المدد الغالبين اللذين كانت الصحوة الاسلامية تعتمد عليها فى توسعة نشاطها و مساحتها العملية و الدعوية ، وتستمد منها الروح و الحياة ، و لكن النقطة المهمة التى أقضت مضاجع هؤلاء الأعداء المتربصين هى - فيما اعتقد - تلك العاطفة الايمانية المتدفقة التى صمدت فى وجد الاتحاد السوفياتى فى ميدان الجهاد الاسلامى فى أفغانستان ، ذلك الجهاد المقدس العظيم الذى ألجأ الجيش السوفياتى إلى الهروب من ميدان الجهاد و فى الأخير إلى الانسحاب الكامل من من أفغانستان والاعتراف منه بالانهزام، وفقدان قوة القتال ضد المجاهدين الأبطال ، و كان ذلك عاراً كبيراً على دولة قوية وكبيرة كالاتحاد السوفياتى وحلفائه ، ومهما كانت هذه الهزيمة التى أفقدت روسيا مكانتها فى السياسة العالمية ، و كانت مبعث ارتياح للدول الرأسمالية و على رأسها الولايات المتحدة ، إلا أنها رأت فى هذه العاطفة الايمانية والصحوة الاسلامية عدواً لها ، فحسب لها كل حساب و صممت على سد جميع الطرق و العوامل التى تغذى الصحوة المباركة ، لكيلا تواجه هى الأخرى مصيراً يشبه بما لقيه الاتحاد السوفياتى .

و قد ساور هذا الخوف أوساط الدول الحاقدة على الاسلام فلم تدع وسيلة إلا و قد اتخذتها لتدمير العواطف الايمانية و تتبير حكومات و دول المسلمين و إمكانياتها التى تمد الصحوة الاسلامية بالمال و الرجال و بأى طريق من طرق التعاون و الخدمة ، و فى خلفية هذا الواقع التاريخى الملموس يمكن أن نرى إلى الغزو العراقى على الدول الاسلامية، وما تمخض به من المآسى والأزمات ، و هنالك يمكننا أن نقوم بالاعدادات اللازمة لصيانة بلادنا و مقدساتنا و الحفاظ على العقيدة الايمانية التى هى القاعدة الأصيلة لعز المسلمين و علوهم فى كل زمان و مكان (و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) .

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

مستقبل الأمة العربية والاسلامية بعد حرب الخليج

دروس وعبر يجب أن ينتفع بها، وفجوات وثغرات يجب أن تسد

[هذا البحث القيم أعده سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن علي الحسنى الندوى لتقديمه فى مؤتمر القاهرة الذى عقد مؤخراً فى ١٠-١٢ شوال ١٤١١هـ حول « مستقبل الأمة العربية والاسلامية بعد حرب الخليج » ، و هو يشتمل على دروس و عبر تساعد على إعادة البناء و استئناف مسيرة الحياة و النشاط فى الخليج]

[التحرير]

الحمد لله وحده ، و الصلاة و السلام على من لا نبى بعده !

حضرات السادة :

إن هذا المؤتمر الذى موضوعه « مستقبل الأمة العربية والإسلامية بعد حرب الخليج » ، قد جاء فى أوانه و مكانه .

أما الأوان فان هذه الحرب التى كانت نزوة طائشة أو نوبة عصبية قيادية حربية ، كثرت أمثلتها و نماذجها فى تاريخ القيادات الفردية ، و المطامح القيادية ، و التهورات الهجومية ، لا أكدر خاطركم و لا أعكر صفو هذا المجلس المؤقر الذى يضم نخبة من كبار العلماء و قادة الفكر ورجال السياسة والادارة فى الأقطار العربية والإسلامية ، بالتصريح بأسماء المسئولين عنها و تعيين زمانهم و مكانهم ، و لا يخلو - مع الأسف و الإعتذار - عن هؤلاء المغامرين - و بالأصح المقامرين - تاريخ الاسلام المشرق الطويل الذى كان يتوقع أن يخلو عن مثل هذه الأمثال و النماذج غير اللائقة برسالة الاسلام و تعاليمه و أهدافه و مستواه

الرفيع ، ولكن الطبيعة البشرية تعمل عملها - إذا جردت عن تربية عميقة قوية ، أو حسبة جماعية دينية ، أو ضمير مؤمن بخالق هذا الكون الذى هو « رب العالمين » و « أرحم الراحمين » و باليوم الآخر الذى يحاسب فيه كل إنسان - مهما سمت درجته ، و توسعت دائرة نفوذه وتصرفه - على أعماله وتصرفاته .

و الآن و قد انقشع هذا الضباب ، وانتهت هذه المرحلة التى لم تكن جديرة بالبقاء وقتاً طويلا ، لا دينياً و لا مبدئياً ، و لا عقلياً و واقعياً ، وعاد الأمر إلى نصابه و الحق إلى أصحابه و لكنها - و الأسف يملأ جوانحى ويكاد يفتت كبدى ، كعامل فى مجال الدعوة الإسلامية و حركة « رسالة الإنسانية » - لاسيما فى منطقة شديدة الحساسية دقيقة الوضع ، كشبه القارة الهندية التى كثرت وتكثر فيها الاضطرابات الطائفية و المذابح البشرية ، قد أساءت إلى سمعة الاسلام ، الدين الأكبر و الأشهر الذى يدعو إلى احترام الإنسانية ، و صيانة النفوس و الكرامات ، و يؤمن بأن الله هو رب العالمين ، و نبيه - محمد عليه أفضل الصلاة و السلام - هو رحمة للعالمين ، إساءة لم يسبق لها مثيل منذ أمد بعيد ، أقول هذا بصفتى دارساً و مؤلفاً فى التاريخ ، و عاملا فى مجال حركة « رسالة الإنسانية » فى الهند ، التى حققت شيئاً كبيراً من النجاح و تمتعت باحترام كبار المثقفين و قادة الرأى فى الأكثرية غير المسلمة و اعترافهم ، و امتازت ندواتها التى عقدتها قيادة هذه الحركة مع التعاون مع عدد من كبار المثقفين و الرجال المحترمين من الهنادك ، بنجاح باهر وإقبال كبير من الشخصيات البارزة فى مختلف الطبقات ، و قد أحرج موقف العراق الاعتدائى و الهجوى الذى هو شبيه بالقرصنة ، و اتسم بالتغاضى عن المشاركة فى الدين ، والاعتداء الآثم على الأنفس و الأعراض ، فضلا عن الأملاك ، و نكران الجميل ، و الهبوط إلى حضيض

السفالة والمهانة ، فانتكست رؤوس المسلمين فى شبه القارة الهندية ، وتندى جبينهم حياءاً ، و كاد يعتقل لسانهم فى توجيه هذه الدعوة إلى إخوانهم المواطنين ، فانهم إذا أشاروا إلى حرب الخليج و موقف القيادة العراقيـــة من الكويت ، البلد الاسلامى السلمى ، و الأكراد المسلمين الذين أنجبوا فى فترة من فترات التاريخ ، البطل الناصر لدين الله السلطان صلاح الدين الأيوبى - عليه رحمة الله - و قالوا : عليكم بالعناية بمركزكم الدينى و شعبكم النموذجى و توجيـه دعوة احترام الانسانية إليه أولا ، لم يكن لنا جواب .

أقول أيها السادة : إن هذا الضباب و إن كان قد انقشع ، و أن هذه المرحلة المشؤمة وإن كانت قد انتهت ، و لكنها تسترعى انتباه المفكرين و المعنيين بحاضر هذه الأمة ومستقبلها ، إلى حقائق قد تجلت فى هذه الآونة ، و فى ضوء هذه الكارثة ، بوضوح لم تتجل به فى الماضى القريب ، ودلت بل وضعت أصبع كل مسلم واع معنى بشأن هذه الأمة منتفع بالتجارب ، على فجوات بل ثغرات (GAPS) فى صفوف هذه الأمة - و أكبر خطورة من ذلك - على ثغرات فى تفكير كثير من طبقات هذه الأمة بل فى دهمائها وخاصة فى شبابها ، والجيل الناشئ ، و فى الصحافة و وسائل الاعلام ، و كثير من المنظمات الاسلامية ، فلا بد من استعراضها - خصوصاً فى هذا المؤتمر المؤقر - بجراءة خلقية ، وصراحة بيانية ، و احتساب محايد جريئ للنفس و الاخوان فى الدين و الوطن ، والله يقول : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين » (١) .

و قبل أن أتحدث عن هذه الحقائق غير السارة ، و الفجوات غير المشرقة

(١) سورة النساء الآية : ١٣٥ .

فى حياة الأمة الاسلامية المعاصرة - بما فيها الشعوب العربية السلمية - ألقى بعض الأضواء على أن هذا المؤتمر المؤقر كما جاء فى أوانه ، قد جاء فى مكانه ، فان الله قد قدر لمصر و اختارها لتقوم بالدور القيادى الحاسم ، و عملية الإسعاف و الإنقاذ للشرف الاسلامى والمقدسات الاسلامية فى ساعة عصيبة دقيقة حين « بلغت التراقى و قيل من راق » (١) وذلك مرتين على الأقل ، و إلى السادة المؤتمرين إشارة إليهما .

المرحلة الأولى : حين هجمت أوربا النصرانية الصليبية بملوكها و قادتها العسكريين و مقاتليها المتحمسين ، - فى تصميم لا يوجد له نظير فى الماضى و لا فى الحاضر - و كانت تستهدف الجزيرة العربية ، والحرمين الشريفين ، بالإستيلاء ومحو أثر الاسلام منها ، وإهانة ما يفديه المسلمون بنفوسهم ودمائهم وكراماتهم ، وأكتفى فى بيان هذا الهجوم وما نشأ منه من الخطر على العالم العربى الاسلامى ، بشهادة واحدة لصاحب اختصاص فى هذا الموضوع من المؤلفين الغربيين ، و هو ستينلى لين بول (Stanley Lane Poole) صاحب كتاب « صلاح الدين » يقول فى كتابه :

« توغل الجيش الصليبى فى البلاد كما يشق أحد خشباً منخوراً بالياً ، و خيل للناس ولو لبرهة من الزمان أن الصليبيين سوف يحطمون جذع دوحة الاسلام و يكسرونها تكسيراً » .

هنالك قضى الله - و هو الرحيم الغلاب - بأن يكون شرف استعادة القدس الشريف و القبلة الأولى التى دامت عليها سيطرة الصليبيين تسعين (٩٠) سنة ، للإسلام و المسلمين ، للسلطان صلاح الدين الأيوبى ، و ذلك فى رجب عام ٥٨٣هـ (١١٨٧م) .

(١) سورة القيامة الآية : ٢٦ .

و قد كان صلاح الدين قائد الملك العادل نور الدين الزنكى و حاكم مصر من قبله ، فاقترن اسم مصر بهذا الفتح العظيم و المأثرة الكبرى و رجع الفضل فى هذه المأثرة إلى قيادة مصر التى تركزت فى شخصية صلاح الدين و لا بد أنه استطاع ذلك - بحول الله - عن طريق الجيش المصرى الباسل المسلم ، يقول لين بول :

« إن سيطرة قائد نور الدين - سلطان الشام - (صلاح الدين) على النيل ، قد جعلت دولة القدس الصليبية بين شقى العصا ، فكانت تحت وطأة شديدة من ذلك ، و لم يكن الذى يضغطها من كلا الجانبين إلا جيش لنفس القوة ، و بفضل استيلائهم على مرفأ دمياط و الاسكندرية ، أخذوا أسطولا بحرياً ، فقطعوا صلة الصليبيين المصريين بأوربا » (١) .

و قد كان السلطان صلاح الدين بنفسه يعترف بأن لمصر نصيباً فى هذه المأثرة فقال مرة : « إن الله لما أعطانى مصر ، حسبت أنه قدر لى فلسطين أيضاً » (٢) .

و المرحلة الثانية هى هجوم التتر الوحوش على العالم الاسلامى فى القرن السابع الهجرى ، و كانت محنة هزت العالم الاسلامى هزاً عنيفاً و تركت المسلمين مشدوهين ، واستولى الرعب والخوف على العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، و غلب على الناس اليأس والتشاؤم فكانوا يعتبرون التتار بلاءاً سماوياً ومقاومتهم مستحيلة ، و انهزامهم فوق القياس ، حتى ساد المثل « إذا قيل لك إن التتر انهزموا ، فلا تصدق » (٣) .

(١) السلطان صلاح الدين ص : ٨٩ . (٢) أيضاً ص ١٨٦ .
(٣) ليرجع للتفصيل إلى الكامل لابن الأثير ج ١٢ .

وفى هذه المرحلة الدقيقة التى كادت تفوق أو فاقت حقيقة مرحلة الزحف الصليبي ، أحجم الملوك و الحكومات و القيادات الاسلامية عن مقاومة التتار ، و اعتبروا استيلائهم قضاءاً مبرماً و عقوبة من الله ، هنالك قامت مصر مرة ثانية بإحراز قصب السبق فى مقاومة التتار ، و استطاع حاكمها الملك المظفر سيف الدين قطز و جيشه المصرى العربى المسلم ، أن يبطل هذا القياس والقضية المسلمة، يقول المؤرخون :

كان التتار متوجهين نحو مصر بعد الشام بحكم الطبيعة ، وكانت مصر وحدها التى لم تصبها ويلات التتار ، و قد كان ملك مصر الملك المظفر سيف الدين قطز قد تفرس أن التتار يزحفون إلى مصر بعد الشام ، و عند ذلك يصعب التخلص من وطأتهم ، فرأى أن يخرج من مصر بالجنود ويشن عليهم الهجوم فى نفس الشام ، حتى وقعت الحرب بين عساكر مصر الاسلامية و التتار فى عين جالوت يوم ٢٥/ من رمضان سنة ٦٥٨هـ، وانهزم التتار شر هزيمة بخلاف ماسبق لهم من الحروب ، فخرجوا منها هاربين ، وتعاقبتهم الجنود المصرية فقتلوهم وأسروا منهم عدداً كبيراً ، يقول العلامة السيوطى فى كتابه « تاريخ الخلفاء » :

« فهزم التتار شر هزيمة ، و انتصر المسلمون و لله الحمد ، و قتل من التتار مقتلة عظيمة و ولوا الأدبار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم وينهبونهم » (١) .

وهزمهم الملك الظاهر بيبرس، بعد انهزامهم فى عين جالوت مرات عديدة ، و أخرجهم من أرض الشام ، و طردهم منها ، حتى بطل المثل السائر « إذا قيل لك إن التتر انهزموا فلا تصدق » .

و فى ضوء هذين المثالين الرائعين اللذين يحق لمصر أن تفتخر بهما و تحمد

(١) تاريخ الخلفاء ص ٤٢٥ .

لله على توفيقه ونصره ، واختياره لها للقيام بالواجب المقدس الخطير ، يتحتم على مصر الاسلامية أن تقوم بأداء فريضة اليوم و تحقيق مطالبه ، و أن تستخرج سهماً — بناءاً إيجابياً قيادياً — من كنانتها ، و قد سميت قديماً بكنانة الاسلام ، و كنانة الاسلام لا تنفد سهامها ، و لا تخطئ مراميها ، و السهم المطلوب فى هذه الساعة الدقيقة هو الانتباه للحقائق التى تجلت بعد الغزو العراقى للكويت و تصرفات الرئيس صدام حسين الطائشة الراعنة ، و ما كان لها من رد الفعل فى الشعوب العربية و الإسلامية ، و ما كشفت عن فجوات و ثغرات فى تفكير الأمة ، و منظماتها و صحافتها و إعلامها .

و الآن آن لى أن أتحدث عن الحقائق والفجوات و الثغرات التى كشفت عنها الأزمة الخليجية الأخيرة ، و ان أشير إلى طريق علاجها ، و ملء هذه الفجوات و الثغرات فى صفوف الأمة ، وتفكيرها و صحافتها ، وإعلامها ، وبتعبير أوسع و أوضح ، فى حياة الأمة ، و تأمين هذه الأمة من عواقبها السيئة ، ونتائجها الوخيمة ، التى تحدث عنها القرآن والسنة وشهد بها التاريخ الانسانى العام .

و إلى المستمعين الكرام بعض النقاط الهامة :

أريد أن أتحدث إلى بعض فجوات وثغرات شديدة الخطر ، بعيدة الأثر فى حاضر الأمة ومستقبلها وألفت نظر قادة الفكر و المتملكين لزمام التوجيه و التربية و الصحافة و الإعلام ، و العاملين فى مجال الدعوة و « الصحوة الاسلامية » إلى معالجتها و العناية بها .

١— التهيؤ الدائم والقوى للانخداع بهتافات ـ حماسية بصفة خاصة ـ ودعاوى خلابة و وعود براقة ، من غير نظر إلى عقيدة أصحابها ، و استعراض ماضيهم ، و الأحزاب و المخططات السياسية و الفكرية التى يرتبطون بها ارتباطاً وثيقاً ،

خصوصاً إذا اقترنت هذه الهتافات أو الاعلانات بتحد أو تهديد لطاقة من الطاقات الكبيرة ، وتظاهر أصحابها بالجراءة و الصمود ، أحدثت فى الدهماء — خصوصاً الشباب — انفعالا شديداً شبه اهتياج عاطفى لا سبيل إلى كبحه (Hysteria) لا يفيد فيه النقد الدينى و العلمى ، و استعراض الواقع والحقائق الأمين المحايد ، وأنتجت ثورة بمثابة زوبعة فى فنجان أوغلى كغلى المرجل ، و قد يؤدى ذلك إلى استهانة بالدين وعقائده وشعائره — فضلا عن إهانة ممثليها و أصحاب الاختصاص فيها — ولا أبلغ فى وصف هذه الفئة و تصويرها من كلمة سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه الذى اكتوى بهذه النار و واجه هذا الوضع أكثر من كثير من أئمة الاسلام وقادته ، إذ قال فى وصف أهل العراق « اتباع كل ناعق » .

فلا بد من إيجاد الوعى الدينى و المدنى فى الشعوب الإسلامية ، حتى فى الطبقات المتدينة المثقفة ، و قوة التمييز بين الصالح والطالح ، و الدعوة إلى فهم القضايا المعاصرة ، والحركات و التيارات العاملة النشيطة ، و المنابع التى تستق منها فكرها و عقيدتها ، و تستمد منها نشاطها وحماسها ، و فى بعض الأحيان إمكانياتها المادية و السياسية .

و لابد من الدعوة إلى فهم القضايا المعاصرة ، و الحركات و التيارات العاملة النشيطة و موقفها من الاسلام و أثرها فى الحياة ، وخطرها على مستقبل هذا الدين ، و الجيل الاسلامى و الاطلاع على أهداف القيادات التى تريد أن تسيطر على هذه البلاد و البيئات ، و تتسلم زمام توجيه المجتمع وفق عقائدها و قيمها و مثلها ، و سبك الحياة سبكاً جديداً ، فان التغاضى عن هذه القوات و الطاقات ، و الحركات و القيادات ، و انطواء الجماعات الاسلامية على نفسها ، معتمدة على تمسكها بالدين و الدعوة إليه ، و الاشتغال بالفرائض و الواجبات

الدينية ، و حياة الطهر و العفاف ، و العبادات و الطاعات ، يحول بعد مدة من الزمن بينها و بين حرية العمل بالدين و تطبيق أحكام الشريعة ، و يضيق الخناق حولها حتى ينطبق عليهم قوله تعالى : « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم » (١) .

و بقاء هذا التهيؤ للانخداع بالهتافات والدعاوى ، و المظاهرات و التمثيلات ، خطر كبير دائم على هذه الأمة ، و ارتباطها بعقيدتها ورسالتها و دورها فى توجيه الانسانية و الوصاية عليها ، بل على بقائها عـلى الشريعة السماوية و الدين الذى ختم به الأديان و الرسالات ، و كذلك يحبط مساعى المصلحين و المجـددين المجاهدين والشهداء المخلصين المتفانين ، من العصر الأول إلى هذا العصر ، و يفتح المجال فى هذه الأمـة و فى بلادها العريقة فى الإسلام لقبول مبدأ المجتمع الغربى المسيحى :

« إن الدين قضية شخصية ، و قضية بين الفرد والخالق ، لا شأن له بالحياة و التشريع و السياسة » :

٢— و من قبيل الإنصاف ، و التحليل النفسى لأصحاب هذا الاندفاع المتهور إلى الهتافات و المظاهرات المتحدية التمثيليـة — و إن لم يكن ذلك مبرراً لوجود هذا الاندفاع إلى حد التقديس — أن من أسبابه عدم وجود قيادة قوية جريئة إن لم أقل بطولية قلت جهادية نضالية ، معتدة بعقيدتها ومركزها القيادى فى العالم ، مستغنية إلى حد ممكن عن الإعتماد عـلى الطاقات الغربية أو الشرقية الكبرى ، التى لم تزل تمثل دور إحباط الجهود الاسلامية و الحركات الدينية القوية الواسعة الآفاق ، و حرمان هذه البلاد من شخصيات قيادية عملاقة يسيطر عليهم التفكير

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٨ .

الدينى و تطبيق التشريعة فى بلادها و العمل لمجد الاسلام و إنهاض المسلمين ، بمؤامرات داخلية و خارجيـة أفقدت هذه البلاد خيرة قادتها و زعمائها فى العصر القريب ، والناس ما زالوا مفطورين على إجلال العزة وروح المخاطرة - والمغامرة أحياناً - لأن الإجلال لشىء لايجده الانسان عنده ، شىء طبيعى ، و لأن تاريخ الاسلام مليئ بالبطولات و المغامرات ، و قد سئم أصحاب الضمائر الحية وضاقوا ذرعاً بسياسة الحكومات و القيادات الرخوة الضعيفة المستسلمة .

و من الحقائق أن عدداً كبيراً من المسلمين - خصوصاً الشباب - مطلع على هذه المؤامرات ، ممتعض من أصحابها حانق لهم .

فلا بد إذن من الاهتمام بوجود قيادة قوية جريئة مؤمنة عاقلة مكتفية بما أنعم الله به على بلادها من ثروات وطاقات ، معنية بالزيادة فيها ، وبالتكنالوجية . و الصناعات و القوى الحربية ، مستغنية عن هذه الطاقات الأجنبية — إلى حد ممكن — فى الاعتماد والاستيراد ، تستطيع باعتمادها على القوة الايمانية وإخلاص شعوبها ، و تفانيهـا فى سبيل العقيـدة و الدفاع عن الاسلام ، أن تحتج ضد عدوان أو مؤامرة ضد مصلحة إسلامية أو قيادة صالحة أو محاولة نفوذ أو تدخل فى قضايا هذه البلاد .

٣— العناية بوجود حركة إيمانية دعوية إيجابية قوية فى البلاد — ومعرفة فضلها و قدرها حق قدرها إن كانت موجودة ، بدلا من التخوف منها و محاولة القضاء عليها — تقترن هذه الحركة بصفات الرجولة و الطموح ، و علو الهمة ، و بعد النظر ، و القدرة على مواجهة الطاقات الرئيسية القائدة التى تملكت زمام قيـادة البشرية ، و أصبحت تتحكم فى مصاير الشعوب و الأقطار الاسلاميـة و غير الاسلامية ، من غير حق و مبرر .

و من المعلوم الثابت أن الشعوب الإسلامية — على علاتها و بعض مواضع الضعف فيها التى تحدثنا عن بعضها — لا تزال تمتاز بين شعوب العالم — بما فيها الشعوب الغربية و الشرقية — بالايمان بالله و اليوم الآخر و الاستهانة بالحياة و اللذات فى سبيل الجهاد فى سبيل الله ، والحنين إلى الشهادة ، و الشوق إلى الجنة ، و نيل رضا الله ، و تصديق ما وعد الله عليه من الأجر و الثواب ، و بذل النفس و النفيس فيه ، إذا ندر لها الداعى المخلص القوى ، المثير فيها الحماس الاسلامى و المشعل اشعلة الايمان ، كما شوهد حتى فى الماضى القريب بفضل القادة المخلصين الربانيين (١) و قد أشار القرآن الكريم إلى هذه الميزة التى يمتاز بها المسلمون عن غيرهم من الشجعان و الأبطال الماديين من الشعوب و الديانات التى انقطعت صلتها عن الرسالة السماوية و المنابع الايمانية بقوله : « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله مالا يرجون » (٢) .

و هذه ثروة لا تعدلها ثروة ، و طاقة لا تساويها طاقة ، فمن الجناية على هذه البلاد و الشعوب الإسلامية — بل على القيادات و الحكومات التى تحكم هذه البلاد و الشعوب — الإشفاق منها و اعتبارها الخطر الأكبر لمستقبل هذه القيادات و الحكومات ، و المنافس الخطير فى مجال الحكم و الادارة ، إلى أن يؤدى ذلك إلى تجنيد الطاقات و تركيز القوى و الوسائل — بما فيها الصحافة

(١) كالامام السيد احمد بن عرفان الشهيد شهيد بالاكوت (١٢٤٦هـ) وسيدى أحمد الشريف السنوسى فى طرابلس (م ١٣٥١هـ) و الأمير عبد القادر الجزائرى (١٣٠١هـ) و غيرهم .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٠٤ .

و وسائل الاعلام ، و نظام التربية — على القضاء عليها و التخلص من أثرها و نفوذها ، فيكون جهاداً فى غير جهاد ، وحرباً على أعز أبناء هذه الأمة والبلاد و أنفعهم عند الحاجة إذا جد الجد .

ومعلوم أن هذه الشعوب الإسلامية تتميز كذلك بالإخلاص إذا وجدت محله ، وناداها أحد باسم الله ، وباسم الاسلام ، فتلبى هذا النداء بحماس وتفان قلما يوجد نظيره فى هذا الزمان ، فمن الجناية على نفس القيادات و الحكومات و التعامى عن الحقائق و عدم الانتفاع بهذه الثروة و الطاقة ، بذل كل طاقة وذكاء و وسائل فى القضاء عليها و التخلص منها .

٤ — الإسلام هو قومية العالم العربى ومحمد ﷺ هو روح العالم العربى و إمامه و قائده ، والإيمان هو قوة العالم العربى ، التى حارب بها العالم البشرى كله فانتصر عليه وهو قوته وسلاحه اليوم كما كان بالأمس ، به يقهر أعداءه ، ويحفظ كيانه .

والعالم العربى — كما يقول شاعر الاسلام الدكتور محمد إقبال : « لا وجود و لا اعتبار له بالحدود و الثغور ، إنما وجوده و اعتباره بالانتماء إلى محمد العربى ﷺ ، و هو الذى أبرزه إلى الوجود ككائن متميز و حقيقة ثابتة » فلابد من تسليم هذه الحقيقة و احتضانها و التحمس لها ، بدل القوميات ، و الوطنيات ، و هى الرابطة الوحيدة التى تربط الأقطار و الشعوب العربية بالعالم الاسلامى وأقطاره الغربية والشرقية ، و تجعلها تحدب عليها وتتقرب إلى الله بحبها ، والدفاع عنها ، و الاستماتة فى سبيلها ، و هى الحقيقة الوحيدة التى تمنحها مكانة مرموقة ، و قيمة مشرفة ، وحساباً خاصاً عند الشعوب و الأقطار الغربية غير الاسلامية .

٥ — الابتعاد — بحد الامكان — من حياة الترف والدعة ، و الاعتداد الزائد بالكماليات و فضول الحياة ، و الإسراف و التبذير ، و الاستهانة بمال الله فى

سبيل اللذة و الشهوة ، و الفخر والزينة و الابتعاد إلى حد ممكن من كل ما لا يرضاه الله و رسوله من أعمال و أخلاق ويحول بينه و بين نصر الله و تأييده ، و قد تماسك العرب الأولون — المسلمون — و احتفظوا بشخصيتهم الاسلامية العربية ، و البساطة و الاقتصاد ، و حياة التقشف و الفروسية ، مقابل الحضارتين الرومية و الفارسية اللتين بلغتا الغاية فى التأنق و التوسع ، و الحياة المصطنعة ، وإن كان لا بد فيستعان بـ « تمدين » هذه المدنية ، و إخضاعها للمبادىء والغايات التى أكرم الله بها هذه الأمة عن طريق الاسلام ، وإخضاع هذه الحضارة و ما لا بد منه فى مسايرة العصر للشخصية الإسلامية .

وقد دل التاريخ بوضوح على أن كل أمة أو جيل أصيب بالترف والبطر ، و البذخ الزائد والتمرغ فى النعيم ، وفشت فيها عادات جاهلية ، و ظهرت منكرات خلقية ، أصبح فريسة لهجوم وحشى وغزو أجنبى « سنة الله فى الذين خلوا من قبل و لن تجد لسنة الله تبديلا » (١) .

كان ذلك شأن المجتمع الاسلامى — بصفة عامة — فى القرن السابع الهجرى عند غارة التتر الوحشية التى كانت كابادة جماعية نسلية و دينية ، و نكتفى هنا بشهادة لمؤرخ كبير (٢) يصف المجتمع المسلم العائش فى بغداد قبل الغزو التتارى ، وهى صورة لا تختلف عنها صور العواصم الأخرى ، و المدن الاسلامية الراقية فى ذلك القرن .

« مرفهون بلين المهاد ، ساكنون على شط بغداد ، فى ظل ثخين ، و ماء

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٨ .

(٢) هو المفتى قطب الدين النهروالى المكى ، فى كتابه « الإعلام بأعلام بيت الله الحرام » .

معين ، و فاكهة و شراب ، واجتماع أحباب و أصحاب ، ما كابدوا حرباً ، و لا دافعوا طعناً و لا ضرباً » (١) .

و هى حكاية عن المجتمعات و الشعوب الاسلامية و الحكومات الواسعة الراقية فى تاريخ المسلمين الطويل ، و قد لقيت نفس النتيجة ، على تفاوت فى العنف و الشدة ، و الطول و السعة حسب قامات هذه المجتمعات و الحكومات و قيمتها (٢) .

٦— تأليف جمعية شعوب و حكومات عربية إسلامية تحل محل جمعية الأمم المتحدة (United Nations) للاشراف على متطلبات الأقطار و الحكومات الإسلامية — و فى مقدمتها و على رأسها الأقطار العربية الاسلامية — السياسية الدولية ، و الدفاعية ، و تقوية معنوياتها و حريتها و شرفها ، و تتولى الدفاع عن بلد صغير يهاجمه بلد كبير ، يستعان بها و يرجع إليها فى ذلك ، بدل جمعية الأمم المتحدة أو طاقة من الطاقات الكبرى ، و تملك من الحول و الطول و نفاذ الكلمة و الاحترام المتبادل ما يمكنها من رد الغارة و العدوان على بلد إسلامى ، و تحسب لها الطاقات الكبرى حساباً ، و ترهبها القوى العدوانية ، و القيادات المستبدة الأنانية .

و يكون فى مقدمة واجبات هذه الجمعية ، الدفاع عن الحرمين الشريفين و الحجاز ، بصفة خاصة ، والجزيرة العربية بصفة عامة ، إذ هى معقل الإسلام و رأس مال الدعوة الاسلامية ، و يرتبط بها شرف المسلمين أينما كانوا ، و متى

(١) الاعلام ص ١٨٠ .

(٢) راجع للتفصيل تاريخ الحكومة المغولية فى الهند ، و الخوارزمية فى تركستان و إيران .

كانوا ، يقول الله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس و الشهر الحرام » (١) فدل ذلك على أن نظام العالم مرتبط فى باطن أمره ببيت الله الحرام ، كما أن نظام العقائد و الأعمال و الأخلاق مرتبط بالدعوة التى أسس لها هذا البيت ، فيجب أن يكون المسلمون فى كل بقعة من بقاع العالم أصحاب غيرة شديدة ، و حساسية زائدة فى شأن مركز الاسلام و مهبط الوحى ، ومطلع الصبح الصادق الجديد للإنسانية ، ويكون المسلمون من ضفاف النيل إلى أرض كاشغر — كما يقول الدكتور محمد إقبال — جيشاً حارساً للحرم ، و رجلا واحداً فى الدفاع عنه و الاستماتة فى سبيله .

وأخيراً لا آخراً كلمة لولاة الأمور ، والمسئولين عن الأقطار والحكومات الاسلامية و العربية .

إن أنفع شئ و اجداه ، أيها السادة ، فى ضوء القرآن و السنة و تاريخ الدعوات و القيادات و التطورات و الانقلابات ، هو الصدق مع الله و الإنابة إليه ، و تغيير ما يمكن تغييره فى حياة الفرد و المجتمع ، و تطبيق ما يمكن تطبيقه فى حياتهما من الإصلاحات وإزالة المنكرات ، وما يبعد من رحمة الله و يحول دون نصرته ، من تناقضات أو تساهلات فى الأطار الفردى والاجتماعى والادارى و السياسى ، و القرآن شاهد على ذلك ، و فى السنة الصحيحة والأسوة النبوية ، وسيرة الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين ، نماذج من ذلك لا تحتاج إلى تفصيل و تعيين أسماء و حوادث ، و هو أكبر مؤثر و جالب لرحمة الله تعالى و مغير لمصير الأمم و المجتمعات ، عند الأزمات ، لا يعادله شئ آخر من الأسباب العادية و الطاقات العسكرية ، و حماية الحكومات الكبيرة و موازرتها .

(١) سورة المائدة الآية ٩٧ .

« رقابة النفس الذاتية »

بقلم : د . محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة البحوث الاسلامية (الرياض)

ما أكثر التوجيه القرآنى الكريم للنفس البشرية ، حتى تستعمل العقل فى التبصر ، و حتى تدرك ما تدل عليه الحواس ، التى وهبها الله لهذه النفس ، حتى تميز الخير من الشر ، وتعرف النافع من الضار ، لأن هذا الانسان سوف يحاسب على سرائر أعماله : بواطنها و ظواهرها ، و لأن كل ما يعمله المرء ، محصى عليه ، بل هو مرصود فى سجل أعماله ، كما قال تعالى : « و وجدوا ما عملوا حاضراً و لا يظلم ربك أحداً » فمن أدرك دلالة و عمق ما تعينه أركان الاسلام الخمسة ، و أثرها فى تهذيب النفوس . فانه لا بد أن يحافظ على شعائر دينه ، كما أمره الله جل و علا : من صلاة و زكاة و صوم و حج و إيمان بالله ، و وقوف عند حدوده التى بين لعباده . لما فى ذلك من بعد عن الانحدار إلى الرذيلة ، أو انجذاب إلى الجريمة .

و ما ذلك إلا أن كل أمر تشريعى فى الاسلام ، يلمس منه المستقرئ تحليلا يقى النفس ، و يحافظ على المجتمع عن الأضرار ، التى تبين نتائجها بمعرفة المداخل إليها .

فالرقابة الذاتية فى المحافظة على النفس ، تأتى من إدراك دلالة كلمة الوحدانية مع الله سبحانه و تعالى أولا ، و العمل بمقتضاها و اليقين بما تدل عليه ، و الصدق و المحبة فى ذلك ، إذ اليقين بذلك عصمة للنفس من اتباع

الطرق المتشعبة، أو تحكيم القوانين الوضعية ، ذلك أن فى رسالته ﷺ ، و تبليغه ما أوحى إليه غنى عن كل بديل ، وضعته الأمم التى لم تؤمن بذلك و لم تتمثل لشرع الله الذى شرع لعباده ، أو ترضى بكتاب الله دستوراً و مسيراً للحياة .

و رقابة النفس فى ذلك مما يطرد الوساوس ، و يقضى على التشكيك ، ومخالطة الأعمال بالرياء ، إذ أنها سوف تحرص بما تشبعت به ، على أداء حق هذا الاحساس الوجدانى بالمتابعة ، والابتعاد عما ينافى كلمة الاخلاص فى الدلالة والعمل .

و لما كان القلب كما يقال : هو ملك الجوارح ، و المسيطر على أفعالها و توجيهها ، فان القلب الخاشع أمام الله فى العبادات ، هو الذى يتشبع بالمفهوم الحقيقى للعبادات ، ليعطى الرقابة للمفهوم الوقائى عن كل منكر و فاحشة . . . و الجريمة من ذلك سواء كان مردودها على الفرد ، أو بان أثرها فى المجتمع .

فجميع فرائض الاسلام : إذا حرص المرء فيها على معرفة الحلال من الحرام ، و ذلك بأن حرص على معرفة الحلال فألزم نفسه به طوعاً و اختياراً ، لأنه هو المنهج السليم الذى وجهه إليه دينه ، و رغب فيه لأنه دفع إليه بأمر يجب احترامه لقدسيته ، واحترام مصدره ، فانه بذلك يجد لذة للفضيلة التى تتطلع إليها النفوس ، و يرتاح للعمل الذى يتفق مع الفطرة .

و ما ذلك إلا أن النصوص الشرعية ، التى توضح للمسلم الحلال ، وتحذره من الحرام ، فترغبه فى الأول ، وتجازيه عليه ، وتنهاه عن الثانى الذى يمثل الشر و آثاره . و تعاقبه على فعله ، ما هى إلا زواجر و حدوداً ، تقوى الرقابة بالوقوف عند النص و اتباع ما يدل عليه فى الحلال ، و التبصر فى عمق دلالته و آثاره ، والابتعاد عما حذر منه من حرام ، وإدراك سر الضرر من ورائه .

و ما ذلك إلا أن الضرر بالنفس أو المجتمع لا يأتى إلا مما حذر الله منه سواء أدرك الانسان النتيجة أو خفى سرها عنه .

وإذا كانت أنظمة البشر تعطى طابعين فى المتابعة والتقويم : ذاتى باحساس النفس ، ورقابى مدفوع بقوة النظام ، و حماية السلطة . فان الذاتى يحرص عليه التربويون و الاداريون ، لاشعار أهل هذين التخصصين ، بأن القناعة العلمية ، و الارتباط المعرفى ، هما الدافع لاجادة العمل ، و محاسبة النفس ، و من ثم اتخاذ ميزان تقاس به الأعمال ، و تقوم نتائجها .

أما الرقابى المدفوع بقوة النظام ، فهو سلطة قوية يستعملها الرقابيون بأساليبها الرادعة ، مع المقصرين فى العمل ، المتراضين فى المتابعة للواجبات الملقاة على عواتقهم .

و من هذا الاحساس الظاهر فى حياة الناس ، يمكن مقارنة النظرة الشرعية فى مكافحة الجريمة ومقاومة نزعات النفس عن الأعمال الدنيئة مهما كانت .

فالطريقة الوقائية : هى منهج يحرص عليه الاسلام فى تحصين النفس ، و تزويدها بالطاقة الايمانية المكافحة لكل أمر مشين ، قبل ارتكابه ، من حيث إدراك كنهه و أضراره . و معرفة مداخله و طرق الوقاية منه . و يتعاون على ذلك ثلاث فئات : الفرد ، و الأسرة ، و المجتمع .

و لكل من هذه الفئات الثلاث مداخل للمعرفة ، و مسارب لتمكين الهدف فى معرفة الشر ، ورسم الطريق الموصل إليه لمكافحته ، و حصره فى نطاق الكراهية و التنفير .

— فالفرد رقابته توسيع المدارك ، و زيادة التمكن فى أخذ المعرفة من مصادرها الصحيحة الثابتة و غرس الفضيلة ، و مقاومة الرذيلة ، كما يستفاد ذلك

من النصوص التشريعية . . قال ابن مسعود رضى الله عنه : إذا سمعت : يا أيها الذين آمنوا ، فأصخ لك سمعك ، فهى إما أن تأمرك بخير تتبعه ، أو تحذرك من شر لتتجنبه .

و قد روى عن ابن عباس قوله : يقول الله جل و علا : إذا ما العبد أطاعنى فيما أمرته به من الحلال ، و نهيته عنه من الحرام ، فلا يضره من ضل بعده ، إذا عمل بما أمرته به ، و عند ما سئل أبو ثعلبة الخشنى رضى الله عنه ، عن دلاله قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا يضركم من ضل إذا اهتديتم» قال : لقد سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : « بل ائتمروا بالمعروف ، و تناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، و دنياً مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام » رواه الترمذى و قال حسن صحيح (تفسير ابن كثير ٢ : ١٠٩) .

— و الأسرة عند ما يدرك أفرادها ما يجب عليهم فهمه ، من نصوص شرعهم ، ودلالات دينهم ، فان نتيجة ذلك الالتزام بالأخلاق ، ومراقبة الأعمال ، و من ثم تزن ذلك بمنطق الفهم الصحيح ، حتى توجه الأبناء منذ حداثة أسنانهم التوجيه السليم ، و تغرس فى نفوسهم حب الفضيلة ، لفضلها ، و بيان النتائج الحسنة لهذا الفضل ، وأثرها الواضح ، و كراهية الرذيلة لسوئها و عاقبتها ، و إبراز نتائجها المستقبحة .. لأن الرذيلة يتمثل فيها شبح كل أمر سيئ من جريمة وغيرها حيث يحس بالأسرة تجسيمها لدى الناشئة ، و تضييق المنافذ المؤدية إليها ، ليكبر هذا الاحساس معهم ، فيرون كل عمل سيئ رذيلة ، كشبح مخيف ، تكبر أحاسيسهم حياله مع الأيام . حتى إذا كبروا و صاروا فى موطن الاحساس

و المسئولية ، و عمق الفهم ، أدركوا بالدليل الشرعى سر ما رسخ فى نفوسهم ، و حقيقة ما أنشئوا عليه من أفكار و أعمال . . . . و قد أدرك ذلك المفهوم الشاعر فى قوله :

و ينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

و أسوتنا فى ذلك صحابة رسول الله ﷺ ، و التابعون فى حسن توجيههم لأبنائهم ، و تلقينهم الفضيلة طبعاً و خلقاً ، و تعويدهم الأعمال الحميدة ترويضاً و متابعة ، فنشأوا محبين لكل عمل مستحسن ، آلفين كل منهج سليم .

فالأسرة المسلمة فى كل عصر و مصر ، عند ما يهتم أربابها بأبنائهم : تربية و حسن خلق ، و إنكاراً للمنكر و تحذيراً من الصغائر ، التى حذر منها رسول الله ﷺ بقوله : « إياكم و محقرات الذنوب » أى ما تحتقره النفس ، و يصغر فى العين . . فان هذا من أسباب توفر البيئة الصالحة ، التى تبغض الجريمة وتنكر الجنوح الأخلاقى ، لأن صلاح الأحداث ، و تعظيمهم شرائع الله ، دافعه الزاجر الايمانى الذى حرصت الأسرة على تمكينه فى جوانب البيت ، ضمن التربية الدينية الأولية ، و به تكبر الرقابة الذاتية مع سمو هؤلاء الصغار .

— ثم يتبع ذلك رقابة أوسع ، ونظرة أشمل ، هى عين المجتمع الفاحصة ، و انتقاداته لكل أمر خارج عن المألوف فى البيئة الاسلامية ، حيث يجب أن يرسخ فى الذهن ، أن البيئة الاسلامية لا يؤلف فيها إلا ما يتمشى مع منهج دين الاسلام ، كما جاء فى الحديث الصحيح : « ما رآه المؤمنون حسناً فهو حسن و ما رآه المؤمنون قبيحاً فهو قبيح » ، و إيمان المجتمع الصالح القوى ، يردعه عن تغيير النظرة للأمور الحسنة أو القبيحة ، بغير المنظور الاسلامى ، فالحسن عندهم ما أباحه شرع الله ، والقبيح فى نظرهم ما حذر منه الدين ، وحرم اقترافه .

وأهمية الجار و المحافظة عليه سمة ونصحاً من أساسيات الترابط الاجتماعى فى تعاليم الاسلام ، و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، من الأسس المتينة التى يحمى الله بها المجتمعات من الانحدار إلى الرذيلة ، وفقدان هذين العنصرين ، فقدان للهيمنة الرقابية الذاتية ، و ما الحسبة المعروفـــة فى سجل رجال الاسلام الأوائل إلا رقابة اجتماعية حيث نلمس أعمالهم الكثيرة تبرز فى مثل :

— الحرص على متابعة صغائر الشر ، والقضاء عليها قبل استفحال خطرها .

— مراقبة المكاييل و الموازين و الاهتمام بالأسعار و منع الغش .

— المحافظة على الأمن ، و ذلك بمعاقبة الجانحين من الشباب .

— منع النساء من مخالطة الرجال فى الأماكن العامة ، و مزاحمتهم فى الأسواق .

— الاهتمام بمداخل الفتنة ، و النصح والتوجيه لكل ما يتجرأ على الحدود و محارم الدين .

— الاهتمام بتأمين الطرق ، و القضاء على شتى صور التعدى فيها على الفرد أو الجماعة .

— منع الجار من الاعتداء على جاره ، وردع القوى من التسلط على الضعيف .

العلاج من مصدر الموت :

روى عن الرازى الطبيب المشهور قال : مررت فى طريق إلى نيسابور ببلدة بسطام ، فاستقبلنى رئيسها فأنزلنى داره و خدمنى أتم خدمة ، ثم سألنى أن أعالج ابناً له به استسقاء ، فأدخلنى إلى دار قد أفردها له ، فشاهدت العليل ، و لم أطمع فى برئه ، فسألنى أبوه عن السر فى حاله ، فصدقته و أيأسته من حياة ابنه ،

و قلت له مكنه من كل ما يشتهى مما أباحه الله ، فانه لا يعيش ، ثم خرجت إلى خراسان ، فأقمت بها سنة كاملة ، وعدت فاستقبلنى الرجل أبو الصبى ، فلم أشك فى وفاته ، وتركت مساءلته عن ابنه ، لأننى نعيته إليه ، وخشيت من تثقيل عليه ، فأنزلنى داره ، و لم أجد عنده ما يدل على ذلك و كرهت مسألته عن ابنـــه لئلا أجدد عليه حزناً .

فقال لى بعد أيام : تعرف هذا الفتى ؟ و أومأ إلى شاب حسن الوجه و السحنة ، صحيح البدن ، كثير الدم و القوة ، قائم مع الغلمان يخدمنا ، فقلت : لا ، فقال : هذا ابنى الذى أيأستنى منه عند مضيك إلى خراسان ، فتحيرت وقلت له : عرفنى سبب برئه ، فقال : إنه كان بعد قيامك من عندى قد فطن إلى أنك أيأستنى منه ، فقال لى : لست أشك أن هذا الرجل - و هو أوحد زمانه فى الطب - قـــد أيأسك منى ، والذى أسألك أن تمنع مؤلاء ، يعنى غلمانى ، الذى كنت قد أخدمته إياهم ، فانهم أترابى ، و إذا رأيتهم معافين ، و قد علمت أنى ميت ، تجدد على قلبى الهم والمرض ، حتى يعجل لى الموت ، فأرحنى من هؤلاء بأن لا أراهم ، و أفرد لخدمتى دايتى ، و هى العاطفة على ولد غيرها .

ففعلت ما سأل ، و كان يحمل إلى الداية فى كل يوم ما تأكله ، و كانت هى تأتيه بما يطلب من غير حمية .

فلما كان بعد أيام يسيرة ، حمل إلى الداية مضيرة لتأكل منها ، فتركتها ، بحيث يقع عليها نظر ابنى و مضت فى شغل لها ، فذكرت بعد أن عادت ، أن ابنى قد نهاها من أكل ما فى الاناء ، لكنها وجدتها قد ذهب كثير منها ، و بقى البعض متغير اللون .

قالت : فقلت له : ما السبب ؟ ، قال : رأيت أفعى عظيمة قد خرجت من موضع . و دبت إلى المضيرة و أكلت منها، ثم قذفت فيها ، فصار لونها كما ترى ، فقلت أنا ميت ، و هو ذا يلاحقنى ألم شديد ، و متى أظفر بمثل هذا ؟ و جئت و أكلت من هذا الاناء ما استطعت ، لأموت عاجلا و استريح ، فلما لم استطع زيادة أكل ، رجعت حتى جئت إلى فراشى ، و جئت أنت .

قلت : و رأيت أنا المضيرة على يده و فمه فصحت .

فقال : لا تعلمى أبى شيئاً ، و ادفنى هذا الاناء بما فيه ، لئلا يأكل مما فيه إنسان فيموت أوحيوان فيلسع إنساناً فيقتله ، ففعلت ما قال ، وخرجت إليك .

قال الأب : فلما عرفتنى ذلك ، ذهب على أمرى ، و دخلت إلى ابنى ، فوجدته نائماً .

فقلت : لا توقظيه ، حتى ننظر ماذا يكون من أمره .

فأتيته آخر النهار ، و قد عرق عرقاً شديداً ، و هو يطلب المستحم ، فأنهضناه إليه ، فاندفع بطنه ، فقام من ليلته ، و من غده أكثر من مائة مرة ، فازداد بأسنا منه ، و قل القيام ، إلا أنه استمر أياماً ، ثم انقطع القيام ، و قد صار بطنه مثل بطون الأصحاء ، فطلب فراريج ، فأكل إلى أن صار كما ترى .

فعجبت من ذلك - يقول الرازى - و ذكرت أن الحكماء ، و يعنى بهم الأطباء الأوائل ، قالت : إن المستسق إذا أكل من لحم حية عتيقة مزمنة لها مئات سنين ، برأ ، و لو قلت لك إن هذا علاجه ، لظننت أنى أدافعك ، ومن أين يعلم كم عمر الحية إذا وجدت ، فسكت عنها . . . فسبحان المحى المميت القادر على كل شئ .

الأمة الاسلامية و المشكلات العالمية

بقلم الأستاذ واضح رشيد الندوى
رئيس تحرير صحيفة « الرائد »

لقد مرت الأمة الاسلامية من حيث المجموع خلال حوالى نصف قرن بمحن و شدائد ، و مآسى و فضائح جعلتها موضع اهتمام و قلق للعالم كله ، و موضع شماتة و غبطة لدى أعداء الاسلام و المسلمين ، و استنزفت هذه المحن و الشدائد طاقة المسلمين ، و أدت إلى تشردهم من أوطانهم ، وحولت المواطنين إلى غرباء فى بلاد غيرهم يعيشون كلاجئين ترعى شئونهم الوكالات و البعثات العالمية الصليبية ، وآخرون يعيشون فى بلادهم فى رقابة شديدة حياة أشبه بالعبودية . كما واجه المسلمون حرباً على تاريخهم وثقافتهم ومنهج حياتهم بالاضافة إلى الكوارث الطبيعية التى أصيب بها العالم الاسلامى ، كالمجاعة والفيضانات ، والزلازل والحوادث التى ترجع إلى ظروف طبيعية خاصة فزادت من شقائهم و بؤسهم .

كانت هذه الفترة التى تلت عهد حرية البلدان التى خضعت للاستعمار ، فترة تقدم وبناء بالنسبة لعدد من الدول فى العالم ، ظهرت فيها قوى جديدة ، ونشأت طاقات جديدة ، و حصل ارتقاء فى العلم و المدنية ، و استطاعت عدة دول حل مشاكلها المستعصية ، و انضمت دول إلى طائفة الدول الكبرى ، و بقى المسلمون رغم كونهم ثالث قوة باعتبار العدد ، و رغم انتماء أكثر من أربعين دولة فى العالم إلى الاسلام ، و عضويتها فى الأمم المتحدة ، غير قادرين على حل مسائلهم أنفسهم ، فضلا عن فرض إرادتهم وخيارهم على العالم ، أو رفع صوت يسمع فى العالم ، و يكون له دوى فى الأوساط السياسية فى العالم .

و آخر المحن التى أصيبت بها الأمة الاسلامية - و ندعو الله تعالى أن تكون هى الأخيرة - هى حرب الخليج التى لا تقل من كارثة ، فقد كانت حرب

العراق و إيران التى دامت ٨ سنوات قد أنهكت القوى ، و فعلت فعلها فى التدمير ، والتشريد ، وتبديد الطاقة الإسلامية ، وقتل مآت الألوف من الشباب المسلم فى الطرفين ، و بدلا من أن تبدأ مرحلة البناء و التجديد ، و يوضع حد للجوء إلى قوة لحل المشاكل و النزاعات ، و تتخذ إجراءات جبارة لتوحيد شمل المسلمين ، ثارت قضية جديدة كانت أسوأ نتيجة و أبشع فضيحة ، و أوسع تدميراً من الحرب الأولى ، وهى قضية الكويت و العراق و الاجراءات العسكرية و الاقتصادية ضد العراق و الثورات التى حدثت فى العراق .

لم تكن هذه الحرب بين بلدين مسلمين فحسب بل كانت بين بلدين مجاورين و عربيين ، وفرضت هذه الحرب من قبل دولة ترفع نعرة القومية العربية ، فكان العربى يقتل عربياً ، و العربى ينهب عربياً ، و كانت المأساة الكبرى أن السياسة الطائشة و الإجراءات المتهورة لدولة الإعتداء ، و تهديداتها المطلقة ، جلبت تدخل القوى الكبرى فى القضية بتخويل من مجلس الأمن الأمم المتحدة من أجل إقرار السلام فى المنطقة فتوسعت دائرة التدمير وشقاء المواطنين فى المنطقة المنكوبة .

كانت هذه الفترة التى تقع فيها هذه الأحداث المؤلمة فى الساحة السياسية ، فترة الدعوة الاسلامية ، أقبلت فيها نفوس على دراسة الاسلام و دراسة حياة المسلمين ، و سمع العالم اعتناق علماء و فلاسفة كبار ، الاسلام بعد دراسته ، و نشأت فيها حركات ، و دعوات ومنظمات للعمل الاسلامى لا يوجد لها نظير فى التاريخ الماضى و رفع اسم الاسلام فى المنابر العالمية ، فكانت هذه الأحداث المؤلمة تهدم ، و تتبر ما كان يبنيه البناة ، و تشوه الرأى الذى كان يبنيه الدعاة ، و يشعر بهذه النكسة فى سبيل العمل الإسلامى كل من له إسهام فى الدعوة الاسلامية و كل من له اتصال بالأوساط غير الاسلامية .

فى الهند مثلا حركة قوية لرسالة الإنسانية يقودها سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، و قد قطعت هذه الحركة أشواطاً بعيدة فى إيجاد الوئام و الانسجام بين المسلمين و غير المسلمين ، و عرف الاسلام من الناحية الخلقية ، و شوهد أخيراً فى عدد من المثقفين من غير المسلمين إقبال على دراسة الاسلام و الالتقاء بالمسلمين ، و يدل على ذلك حضور عدد كبير منهم فى الاجتماعات التى يعقدها المسلمون ، و انتشار الكتب الاسلامية المنقولة إلى اللغات المحلية ، فكانت هذه الأحداث الدامية و القلاقل فى العالم الاسلامى ، و انتهاك حقوق الانسان ، محولة لهم و مثيرة لأسئلة فى قلوبهم ، و يصادف العاملون فى مجال الدعوة هذه الأسئلة والشبهات كلما أقاموا صلة بغير المسلمين بعد هذه الأحداث ، و تثور هذه الشبهات كلما حدثت حادثة كبيرة فى أى جزء من العالم الإسلامى .

و يواجه العاملون فى مجال الدعوة فى أوربا بصفة خاصة و المسلمون بصفة عامة هذا الوضع الناتج عن رد فعل للأحداث فى العالم الاسلامى ، و وضع القلق فيه ، و قد غرست الأحداث فى الخليج أحقاداً جديدة فى قلوب غير المسلمين ، و ساءت علاقاتهم مع المسلمين وأصبحت الحياة فى أوربا ، و أميركا ، و أفريقيا ، ساخنة للمسلمين ، و استغلت المنظمات الصليبية هذه الأوضاع لتجديد حملاتها ضد الاسلام و المسلمين .

إن المحن و الشدائد و النكسات تحدث فى حياة كل أمة فلا غرابة فيها ، و لكن المهم هو ما تثيره من ردود فعل فان المحن تحطم صلب أمم ، و تقضى عليها و تزيد المحن صلابة الأمم و تزيد مناعتها ، و تحدث فيها انقلاباً ، وتخرجها من أنقاضها ككيان جديد ، ويتوقف ذلك على موقف هذه الأمم إزاء محنها و رد فعلها ، و معالجتها لظروفها و صلاحيتها للبناء و التجديد ، بعد البحث عن مواطن

الضعف ، ومصدر البلاء ، وإن خير العلاج للامراض هو إزالة أسباب المرض ، و تطهير البيئـة ، إذا كانت موبوءة ، كذلك خير الدفاع عن أى كيان هو ملء الثغرات و تحصين المكان منها ، و الأمم التى لا تعتبر ، و لا تحاسب النفس ، و لا يثور فيها رد الفعل للاحداث التى تصيبها ، لا تعيش بكرامة ، و لا تتقدم للبناء فتخرج من أزمة و تدخل فى أزمة جديدة .

لقد مرت الأمة الاسلامية فى تاريخها الطويل بمراحل حاسمة كان يخشى فيها أنها ستلفظ أنفاسها الأخيرة و تلحق بالأمم البائدة فانها كانت هدفاً دائمياً للغارات الصليبيـة ، و وقفت أوربا بكاملها ضدها فى فترات أصابها الوهن ، و حققت أوربا انتصارات فى المراحل البدائية لكنها اندحرت فى النهاية لغلبة روح الجهاد وحب الموت فى القيادات الاسلامية ، فقد واجهت الأمة الاسلامية الغارة التتارية التى أزالت من النفوس هيبة المسلمين ، ثم واجهت الأمة الاسلامية غارات أوربا المتكررة ، كما و اجهت فرقا ضالة و محاولات التحريف فى الإسلام مدعمة من القوى الصليبية و اليهودية و المجوسية ، و لكن خرجت الأمة الاسلامية منتصرة من جميع هذه المحن مهما بلغت قوة الأعداء سعة و عنفاً و دقة تخطيط ، بفضل جهود أبطال الاسلام من العلماء و الحكام المسلمين الذين قيضهم الله لحمل هـذه المسئولية ، وقامت بعض المناطق فى العالم الاسلامى بدور رائد فى تأدية هذه الخدمة ، خدمة إنقاذ الاسلام والمسلمين وصد هجوم المعتدين ، فكانت مصر مثلا و ليس ذلك من المصادفة ، بل حادثاً متكرراً فى التاريخ ، فى مقدمة الدول التى وقفت لصد الهجوم ، و كسر أباطيل الخصوم ، و قد وصفت بجدارة بكنانة الاسلام ، إنها واجهت الغارات الصليبية من أوربا القديمة و أوربا الجديدة ، و واجهت الغزو التتارى و كسرت شوكة التتـار و غيرت مجرى التاريخ ، و كتبت تاريخاً جديداً ، ولعبت مصر هذا الدور فى القرون الأخيرة أيضاً فان معارك عين جالوت و حطين تشكل صفحات مجيدة ، و أياماً مشهورة من تاريخ مصر الإسلامية .

و لقد قام سماحة العلامة أبى الحسن على الحسنى الندوى فى بحثه القيم الذى نشرته صفحات المجلة فى نفس هذا العدد بتذكير مصر العربية بدورها التاريخى فى نصرة الأمة الاسلامية ، دور كنانة الاسلام ، وناشدها أن تخرج من حصارها المفروض عليها ، و تقود العالم الاسلامى كما قادت فى المـاضى ، و استعرض سماحته الظروف وعواقبها ، واكتشف الثغرات والفجوات فى الكيان الاسلامى ، وقام بتعيينها ، وشرح طرق معالجتها فى خلفية الأحداث التى مر بها العالم الاسلامى كله ، فان العالم العربى قلب للعـالم الاسلامى ، و لا يحلو العيش إذا كان القلب متألماً ، فكيف يستقر العالم الاسلامى إذا كان العالم العربى وفيه الحرمان الشريفان و القبلة الأولى ، مضطرباً ، فليست مشكلة أى بلد عربى ، مشكلة عربية صرفة ، و إنما هى مشكلة إسلامية و مشكلة عالمية وحيث إن صلة المسلمين بالعالم العربى صلة شعورية و قلبية فالقضية تصبح قضية شعورية و قلبية ، يضطرب بها كل مسلم فيه أضعف الايمان .

فاذا كان شعور المسلم العادى قد اضطرب بالاحداث المؤلمة ، فكيف يكون شعور داعية أحب العرب واعتبر نفسه واحداً منهم ، و درس قضاياهم و عرفهم عن كثب ، و هو يعرف نتائج الأعمال و طبيعة التاريخ ، و له نظرة على تاريخ الأمم و الحضارات و له معرفة دقيقة بالواقع المؤلم ، و يتحرك قلبه .

لقد هزت الأحداث الأخيرة الكيان الاسلامى كله ، و أثرت على كل مجال من مجالات العمل الاسلامى ، و اضطربت لها القلوب ، و حملت عـلى التفكير ، و البحث عن أسباب الكارثة ، و يفيد هذا البحث فى تعيين الثغرات و تحليل الأسباب الحقيقية ، و ترشيد قوة جديدة لحمل القيادة لاعادة البناء بسد هذه الثغرات بأسلوب علمى تحليلى من جانب ، و أدبى مؤثر من جانب آخر ، و الله هو الموفق و هو يهدى السبيل .

دراسات و أبحاث :

تعليم العلوم من خلال وجهة النظر الاسلامية

بقلم : دكتور سيد حسين نصر
تعريب : الأخ محمد فهيم أختر الندوى

أول سؤال يطرح على بساط البحث من زاوية المنظور الاسلامى ، هو هل يلزم تعليم العلوم أم لا ؟ ، و إذا كان الجواب فى الاثبات فأى منهج لتعليم العلوم يتلاءم مع وجهة النظر الاسلامية ؟ هناك طبقة من المسلمين لا تعتبر تعليم العلوم للأهداف العملية ضرورياً فحسب ، بل تبرهن على كون ذلك جزءاً لازماً لدين الاسلام ، إن التعليم و التربية تحلان محل الروح للحياة الدينية ، يغذيان قلب المرء و فكره و روحه ، و يجعلانه يتدرج إلى أعلى مراتب الكمال حتى يلقى ربه جل و علا ، و من الممكن من المنظور الاسلامى تعبير التعليم عن الحياة نفسها فيجب الاهتمام البالغ فى الحصول على العلم شأن ذلك فى تنمية الحياة .

أما العلم (Science) فهو وفق مفهومه الجديد جزء لازم تتركب منه الحضارة الحديثة ويعتبر قلبها من نوع ، إن مدى تأثر العالم الاسلامى من العلم الغربى لا يقل مما تأثر به من قوى التغريب ، و قبل العصر الجديد كان للعلم الاسلامى (Islamic Science) جولة وصولة استمرت ألف عام ، وكان ذلك ميزة كبرى للحضارة الاسلامية ، و يلزم اليوم أيضاً ترويج تعليم العلوم فى العالم الاسلامى لتمتع الحضارة الاسلامية بالحياة و لمواجهة حقائق العالم .

يجب تعليم العلوم على كل حال ، سواء رفض المسلمون العلم الحديث أو قبلوه بحفاوة من قلوبهم أو قاموا بالاستعراض النقدى و اختاروا منه ما يتلاءم مع التصور الاسلامى للكون ، ومن هنا يلزم تقرير المواد العلمية فى المناهج الدراسية فى جامعات العالم الاسلامى ، ثم يبقى سؤال عن اختيار منهج لتعليم العلوم ، كيف يدرس

العلم بدون صرف النظر عن المنظور الاسلامى للكون وفى ضوء العقائد التى بينها الكتاب و السنة عن العالم الطبيعى و أسس المسلمون عليها العلم الاسلامى الذى ظل رائجاً طوال مدة قرون ، مثل هذه الأسئلة يطلب الاجابة من ذوى العلم من المسلمين ، و هى فى الواقع أحد التحديات التى يواجهونها اليوم ، و فى الأسطر الآتية نريد تركيز فكرتنا على عديد منها .

قبل كل شئ لا بد من إيضاح أن العلوم الفطرية و مناهج تعليمها أو وجهة النظر الاسلامية المتعلقة بتلك المناهج تبتنى على الحقيقة ، إن للاسلام شريعة ترشد الانسان فى جميع أعماله ، وعقائدة عن ذات الاله وأسمائه وصفاته ، و تعاليم عن نوعية الكون ، و بدايته ونهايته و علاقته بخالقه ، إن القرآن كثيراً ما يحيل إلى النظم الفطرية .

أما العلم الحديث فهو مبنى على نظرية خاصة للكون ، وهذه النظرية تركبت من كل من التصور الفلسفى والتصور الدينى والتصور المعارض للدين لدى الفكر الغربى ، إن الحقيقة العلمية تقيم عدة اعتبارات متعينة عن العلة والمعلول ، والزمان و المكان ، و المادة ، و القوة ، و الصورة ، و العدد ، وهذه الاعتبارات تبتنى على تلك الخلفية الفلسفية التى تقدم فيها العلم الحديث ، ثم هذا العلم يرتبط بعوامل اجتماعية للمجتمع الغربى ، لا يصح تعليم هذا العلم فى العالم الاسلامى لأنه ليس فيه تلك النظرة للكون التى يبتنى عليها ذلك العلم ، أو كأنه ليس لدى الاسلام وجهة نظر له عن علوم الفطرة ، وهو يقبل أى علم بدليل أن الكتاب و السنه قد تناولاه بالذكر و لأن كلمة « العلم » (Science) ماخوذة من كلمة لاطينية (Scientia) التى هى ترجمة لكلمة « العلم » ، بقى هذا العلم الغربى مدة قرن فى العالم الاسلامى ولم يتناول بالنقد و الفحص ، فترك ذلك على المجتمع الاسلامى أسوأ تأثير ، و لم يمكن الآن أن نغفل السؤال عن تعليم العلوم من خلال وجهة النظر الاسلامية ؟ كيف ينبغى أن تقرر خطة لتعليم العلوم حتى يتأهل المسلمون

لصيانة دينهم وثقافتهم ، و يواجهوا العالم الجديد ، و يتجنبوا المشكلات التى يواجهها العالم الجديد نتيجة استخدام العلم المؤسس على إنكار تدبير الله فى الانسان و العالم الطبيعى .

إن وجهة النظر الاسلامية عن العالم الطبيعى و العلم الطبيعى استنبطت من القرآن الكريم و السنة النبوية ، و إنهما تناولا بيان عقائد معينة لبداية الكون و نوعيته و نهايته ، ثم فسرها العلماء المسلمون فى العصور الآتية ، لسنا بصدد تفسير تلك العقائد القرآنية المتعلقة بالفطرة ، و لكن نشير إلى أهم أمور منها :

من المهم أن القرآن أكثر من الاحالة إلى الفطرة و مظاهرها ، و هذه المظاهر لها أهمية كبيرة من خلال وجهة النظر الاسلامية ، و فيها درس لمن ألقى السمع و هو شهيد ، لأنها آيات الله الباهرة ، والكون أيضاً كتاب ، سماه بعض المفسرين من المتأخرين بـ « قرآن التكوين » كتب على صفحاتها أول وحى ، و لكن لا يقرأ هذا القرآن إلا من استنار ذهنه أولا بنور « قرآن التدوين » و درس هذا الكتاب الكونى لا ينحصر فى أشكاله و مظاهره المشهودة بل له مفاهيم و دروس وراء هذه الظواهر .

إن الكتاب و السنة يخبران عن كون له خالقه و مدبره ، و له بداية و نهاية ، له نظام دقيق لم يخلق عبثاً ، و له هدف و غاية ، و هو جزء من خطة ، لم يكن وجوده صدفة ، فى مظاهره حكمة مستورة تبدو انعكاساتها من فوق ، لم تكن بدايته بحادث انفجارى و لا بقوة أزلية مصارفة ، و لا تحدث فيه التغيرات بدون أى غرض وهدف ، قوانينه تابعة لحكمة الخالق ومشيئته ، وجوده قائم فى كل لمحة على كلمة « كن » ، و بهذه الكلمة كانت بدايته ، و لا تكون نهايته بأفول كوكب أو مجرة و لكن بالانضمام إلى أعلى دوائر الآخرة حسب ما ذكره الكتاب و السنة .

من خلال وجهة النظر الاسلامية لا بد أن يكون تعليم العلوم فى جميع مراحلها فى ضوء التصور القرآنى للكون ، ليس القرآن كتاب علم فى معناه الجديد

كما يدعى بعض الاعتذاريين اليوم ، و يحاولون تأييد كل اعتبار علمى بآية قرآنية وكل حقيقة علمية ببيان قرآنى ، إن القرآن والحديث يتحدثان عن أصول الكون و فلسفة الفطرة ، فينبغى أن تقرر هذه الأصول و الفلسفة جزءاً لتعليم العلوم فى العالم الاسلامى .

و فى هذين المأخذين ذكر لجميع ذرائع العلم الانسانى ، و يعلم من هذا أن هذه الذرائع ليست منحصرة فى الحواس والعقل ، بل هناك أكبر ذريعة أخرى للعلم وهى الوحى ، وعلى هذه الأسس قام منهاج إسلامى مفصل (Methodology) للعلم الذى ظل رائجاً مدة قرون ، ينبغى أن لا يغيب هذا المنهاج عن الأذهان و يختار فى كل برنامج تعليمى للعلم وفق وجهة النظر الاسلامية .

و مع الرجوع إلى القرآن و الحديث ينبغى أن يكون تركيز العناية على تلك العلوم الاسلامية التى استمرت راقية قروناً طوالا فى الحضارة الاسلامية ، و هذه العلوم التى لعبت دوراً مهماً فى رقى العلم الغربى لا تحمل قطعاً معنى أن اختراعها تم بأيدى المسلمين و سكان العالم الاسلامى ، بل هى اسلامية فى معنى أنها توافق مع التصور القرآنى للكون ، و كانت عليها غلبة للأصول الاسلامية التى أوجدها المسلمون بعد أن جعلوا العلوم القديمة - سواء كانت يونانية أو ايرانية أو هندية - منسجمة مع التصور الاسلامى للكون ، ليس من تعليم العلوم أن تقدم آيات عديدة للقرآن وكفى ، وتفسر هذه الآيات عامة تحت تأثير الاعتبارات العلمية للعلم الغربى ، ويصرف النظر عن القرون المتتالية للتاريخ والفلسفة الاسلامية التى تمتد إلى ألف قرن ، مع أن ذلك جزء لازم للتعليم الاسلامى ، و هذا الاغفال عن فلسفة العلم الاسلامى و تاريخه فى تعليم العلوم فى العالم الاسلامى أحدث نتائج وخيمة فى القرن الماضى ، فاذا قصد ترويج نظام لتعليم إسلامى حقيق فلا يحصل ذلك بالطراز الموجود للتعليم ، إن المضمون الجديد لتاريخ العلم وضع أولا فى أوربا ثم فى أمريكا على أساس فلسفة الثبوتية خلال أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين ثم نالت هذه الفلسفة قوة بواسطة ، جى سارتن

الذى كان عالماً بارعاً للعلم الاسلامى وإى ماش، وهما اللذان كانا قد توليا تأسيس هذه الفلسفة ، ليست لهذه الفلسفة أى علاقة بفلسفة العلم الاسلامى ، وإن العلماء المسلمين لم يقيموا للعلم الاسلامى ذلك الوزن الذى كان يستحقه، ولو فعلوا ذلك أحياناً فعلى أساس الفلسفات والمناهج التى وضعها مؤرخو الغرب .

أول عمل يلزمنا هو تدوين تاريخ كامل للعلم الاسلامى ، حيث يشتمل هذا التاريخ على تلك الاكتشافات و الانتاجات ، التى تمت على أيدى علماء الغرب فى قالب اسلامى لموضوعات مختلفة من العلوم و الطب المشتملة عـــلى لغات عربية ، تركية ، فارسية و أردوية .

ما هى حقيقة العلم ؟ ومن أى عناصر يتشكل العلم ؟ إن المفاهيم التى وجهت إلى هذه التصورات فى القرن التاسع عشر فى ضوء نظرية الثبوتية Positivism ، ينبغى أن تجرد هذه التصورات عن تلك المعانى وتفسر فى ضوء العلم الاسلامى نفسه .

وكذلك ينبغى أن تفسر علاقة الوحى بالعلم الاسلامى من جديد فى ضوء الاسلام، ويستعرض من جديد جميع تلك التصورات التى ذكرها مصنفو الغرب بصدد انحطاط الحضارة الاسلامية ، و تضاف فى العلم الاسلامى الاكتشافات العلمية التى تمت فى الدولة العثمانية فى تركيا و فى الدولة الصفوية فى ايران و فى دولة المماليك فى مصر وفى الدولة المغولية فى الهند، ثم تكون دراسة العلم الاسلامى على أساس هذه الصورة الكاملة ، ولا يكون تعليم العلم الاسلامى فى تاريخ العلم الغربى كأنه باب من أبوابه بل كأنه جزء لازم للحضارة الاسلامية ، ولا يغيب عن البال أن العلم الاسلامى له تاريخ يمتد على ألف عام، وعلى أساس هذا التاريخ الماضى يستطيع العلماء المسلمون أن يخطوا خطوة أخرى نحو أى اختراع جديد.

أما تعليم العلوم فلا بد أن يكون منهج التعليم فى المراحل الابتدائية مؤسساً على علم اسلامى (Islamic Science) ، يعلم الطلبة بأن النشاطات العلمية الواسعة للمسلمين استمرت ألف عام فى مختلف بقاع العالم الاسلامى ، وكان معظم أفراد هذه النشاطات من المسلمين المخلصين ، و إن Science كان جزءاً لازمـــاً للعلم

الاسلامى ، و قد عارضه بعض فقهاء وعلماء المسلمين و لكن لم يكن معنى ذلك أنه يعارض الاسلام بل مرد ذلك إلى تشعب المذاهب فى العلم الاسلامى .

و يفاد الطلبة كذلك أن عدم ترويج و رقى العلوم الاسلامية على وجه سواء فى جميع أدوار التاريخ الاسلامى وخاصة بعد القرن الحادى عشر الهجرى والسابع عشر الميلادى لا يكون سبباً لتوجيه لائمة نحو الحضارة الاسلامية ، فانه ليس هناك أى حضارة فى التاريخ لعبت دوراً سواء فى رقى العلوم فى جميع أدوارها، وتشهد على ذلك الروايات المصرية و الصينية القديمة، ليس العلم و الحضارة شيئاً واحداً كما يظنه الغرب ، نأخذ الغرب على سبيل المثال، من يتكهن بيقين جازم أن علماء الغرب الأفاضل سوف يبذلون عنايتهم على العلم و العلوم الأخرى بعد مأة عام مثلما يبذلونها من القرن السابع عشر الميلادى حتى الآن .

إن العلم الاسلامى أثر كثيراً فى عهوده الوسطى ونهضته الثانية على العلم الغربى ، و لكن فى القرن السابع عشر الميلادى وقع تغير انقلابى فى وجهة النظر للعلم الغربى ، ثم كان ارتقاؤه فى قالب جديد ، و كان هـــذا القالب مختلفاً تماماً عن القالب الاسلامى و المنظور اللاطينى ، إن العلم الحديث مدين للعلم الاسلامى إلى حد كبير و لكن تقدمات العلم الاسلامى تمت فى الكون التابع لأوامر الله خلاف العلم الحديث، حيث كان القانون الالهى غالباً على كل شئ ، و لم يكن للنظرة العلمانية اللادينيـــة مبرر قانونى ، و كان الاستدلال مرتبطاً بالعقل و تابعاً للوحى ، يشاهد المرء فى جميع الأشياء آيات الله و يطالع الفطرة لادراك حكمة الله و غرضـــه ، و ربطت علوم الفطرة بأعلى شكل العلم الذى يتعلق بالحقيقة الالهية و هى كلمة لا إله إلا الله ، لم تكن الحضارة الاسلامية عظيمة لأنها تسببت ازدهار العلم الحديث بل لأنها كانت تتأمل لايجاد علم مفصل للفطرة بدون الفصل بين فطرة الانسان و ربه ، أما العلم الحديث فهو جرد الانسان قبل كل شئ عن فطرته و ربه تجريداً ، فكانت نتيجته أن قضى على روح الانسان . و أصبح وجوده الطبيعى الآن متعرضاً لخطر الذوبان .

« يتبع »

فاكهة المجالس الغيبة

دكتور عمر يوسف حمزة
جامعة قطر

يلزمنا بأدى ذى بدء أن نعرف الغيبة ونوضح الفرق بينها وبين النميمة والبهتان :

أولا : و المراد بالغيبة :

الغيبة : هى أن تذكراخاك بما يكره .

و الاغتياب : افتعال من غابه المتعدى إذا ذكره فى غيبه بما يسوه : (١) فالاغتياب ذكر أحد غائب بما لا يحب أن يذكر به ، و الاسم منه الغيبة - بكسر الغين - مثل الفيلة ، و إنما يكون ذكره غيبة إذا لم يكن ما ذكره به مما يثلم العرض و إلا صار قذفا .

أما النميمـــــة :

هى نقل كلام زيد إلى عمرو مثلا على وجه الافساد و الوقيعة ، و اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق فى الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كما تقول فلان يتكلم فيك بكذا وكذا و ليست النميمة مختصة به ، بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو كره ثالث ، و سواء كان الكشف بالقول أو بالكتابه أو بالرموز أو بالايماء و سواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً فى المنقول عنه أو لم يكن ،

(١) التحرير و التنوير ج ٢٧ ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ، و انظر عناصر الترابط فى المجتمع الاسلامى ص ١٠٨ و المصباح المنير للفيومى ص ١٧٤ .

بل حقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، بل كل مارآه الانسان من أحوال الناس ما يكره فينبغى أن يسكت عنه إلا ما فى حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له فاذا رآه يخفى مالا لنفسه فذكرها فهو نميمة ، و إفشاء السر ، فان كان ما ينم به نقصاً وعيباً فى المحكى عنه كان قد جمع بين الغيبة و النميمية ، فالباعث على النميمة إما ارادة السوء للمحكى أو إظهار الحب للمحكى له ، أو التفرج بالحديث و الخوض فى الفضول و الباطل (١) و النميمة من كبار الذنوب لأن مفعولها كمفعول النار فى الهشيم تفرق بين الزوجين وبين الآباء و الأبناء وبين الأصدقاء ، و الأعظم من ذلك كله إذا كانت النميمة إلى الحاكم لايقاع غضب الحاكم على من نقل عنه ، فقد يصدقه الظالم بدون أن يتثبت و يعمل بقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (٢) و قد ذم الله تعالى النمام كما ذم قبله المغتاب كما فى قوله جل شأنه « و لا تطع كل حلاف مهين ، همماز مشاء بنميم » (٣) المشاء بالنميم — الذى ينم بين الناس ، و وصفه بالمشاء للمبالغة ، والمش : استعارة لتشويه حاله بأن يتجشم المشقة لأجل النميمة مثل ذكر السعى فى قوله تعالى : « ويسعون فى الأرض فساداً » (٤) ذلك أن أسماء الأشياء المحسوسة أشد وقعاً فى تصور السامع من أسماء المعقولات فذكر المشى بالنميمة فيه تصوير لحال النمام ، ألا ترى

(١) المصباح المنير ص ٢٣٩، وتطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات ص ٢٥٨.
(٢) سورة الحجرات ، الآية : ٦ .
(٣) سورة القلم ، الآية : ١٠ — ١١ .
(٤) سورة المائدة ، الآية : ٣٣ .

أن قولك — قطع رأسه أوقع فى النفس من قولك — قتل ، ويدل لذلك أنه وقع مثله فى قول النبى ﷺ حينما مر بقبرين يعذبان فقال : « إنهما يعذبان ، وما يعذبان فى كبير ، بلى إنه كبير ، أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة و أما الآخر فكان لا يستتر من بوله » (١) .

و أما البهتان : فهو :

أن يذكر الانسان أخاه بما ليس فيه بالباطل ، و قد بين النبى ﷺ ذلك فيما رواه عنه أبو هريرة رضى الله عنه حيث قال : « إن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون ما الغيبه؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم قال : « ذكرك أخاك بما يكره » قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، و إن لم يكن فيه فقد بهته (٢) .

الغيبة فاكهة المجالس :

إنها فاكهة مسمومة — و نغمة خداعة مشئومة تلك هى فاكهة المجالس السامرة لا يشبع طاعمها ، و نغمة أحاديثها الساخرة لا يمل سامعها ، و لكم سألت نفسى عن مجلس لا تقدم فيه هذه الفاكهة و لا يسمع فيه هذا النغم ، ولقد طال

(١) رواه البخارى واللفظ له ، ومسلم و أبو داؤد . و الترمذى ، والنسائى ، و ابن ماجة ، و رواه ابن خزيمة فى صحيحه بنحوه ، و انظر كتاب الكبائر للذهبى ص ١٦٠ .

(٢) رواه أبو داؤد فى سننه (رقم ٤٨٧٤) و الترمذى فى « جامعه » ٥/٢ و قال حديث حسن صحيح ، و رواه ابن جرير ٢٦/ ١٣٧ ، و أورده البيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٩٤ ، و أخرجه مسلم بنحوه فى صحيحه ٤/ ٢٠٠١ ، و انظر زاد المسير لابن الجوزى ج ٧ ص ٤٧١—٤٧٢ .

بى انتظار الجواب ، حتى ظننت الأمر مرضاً وبائياً قد اندلع لهيبه فى كل مكان ، فمن لم تصبه ناره أصابه دخانه ، يتلقاه سمعه إن لم يتلقفه لسانه ، بل كدت أظن أن هذا الأمر وليد فطرة البشر أو ربيب حياة المجتمع ، وأنه مادامت الشكوى منه متصلة فى كل بيئة وعصر فلاطب لدائه ، ولا أمل فى شفائه ، ولكن المطلع على القرآن الكريم يجد فيه أن الله تعالى يصف المؤمنين المفلحين بقوله : « و الذين هم عن اللغو معرضون » (١) ويصف عباد الرحمن بقوله : « والذين لا يشهدون الزور و إذا مروا باللغو مروا كراما (٢) فمن خلال هذه النصوص القرآنية يتبين لنا بالأدلة القاطعة أن فى الناس بقية من الخير ، ثم إذا نظر الانسان إلى الجيل الأول الذين أدبهم رسول الله ﷺ بأدب القرآن ، يرى أنهم قد بلغوا من طهر الحديث وعفة القول أن الكلمة الواحدة من السخرية كانوا يعدونها كأكبر الأعمال الفاجرة ، و ياترى ماذا عسى أن يقول المادحون للصحابة بعد أن مدحهم ربهم ، أما يكفى الصحابة شرفاً وفضلا أن يكون كتاب الله ناطقاً بجميل وصفهم وعظيم مدحهم ؟ أما يكفيهم فخراً ورفعة أن يكون حديث رسول الله - ﷺ - طافحاً بتعداد محاسنهم ، و نشيرهنا إلى بعض الآيات التى نزلت فى ذلك الجيل الأول من سلف الأمة فقال تعالى : « و الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم » (٣) و قوله جل شأنه : « محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله و رضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة و مثلهم فى الانجيل كزرع

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٣ . (٢) سورة الفرقان ، الآية : ٧٢ .
(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٧٤ .

أخرج شطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة و أجراً عظيماً » (١) هؤلاء هم أصحاب رسول الله ﷺ — خلص عباده ، و نخبة عباده شموساً اطلعهم المولى جل وعلا — فى عالم الانسانية مرة ، ما سمعنا ولا عرفنا أنها ظهرت على بساط الحياة مرة أخرى ، اللهم إلا ما كان على فترات متباعدة من الزمن ، قد يظهر فيها ما يشبه بعض تلك الشموس أو يقرب منها (٢) وهكذا حينما ينظر الانسان إلى جيل الصحابة — رضى الله عنهم يزداد إيماناً بجوهرة هذه النفس الانسانية ، وما فيها من عناصر نبيلة ، وطاقات كمينة ، وتراءت لى الآفاق العليا التى تستطيع أن تسمو إليها هذه البشرية الحائرة ، لو تحقق لها أمران لا ثالث لهما :

الأول : قيادة رشيدة توجهها الوجهة السليمة .

الثانى : استجابة صادقة امتدت فيها الأيدى لمصافحة تلك اليد البرة الرحيمة ، فمتى تجاوبت هكذا نفسية الداعى والمدعو ومتى منح الطبيب مريضه نصحاً وشفقة ، ومنح المريض طبيبه طاعة وثقة ، فهنالك تلتقى الكهرباء الموجبة والسالبة ، فيتولد من بينهما ما شاء الله من حركة و حياة ، و ما شاء الله بعد ذلك من وثبات فسيحات نحو المعالى و الأمجاد (٣) .

عرض القرآن الكريم للغيبة :

و يمكننا هنا أن نتساءل عن الأسلوب الحكيم الذى اتخذه طبيب النفوس الأعظم ، ليطهر نفوس المؤمنين و مجالسهم من هذا الاثم ، فوجدته قد سلك

(١) سورة الفتح ، الآية : ٢٩ .
(٢) صحابة رسول الله ﷺ فى الكتاب و السنة ص ٢١ .
(٣) نخبة الأزهار ص ٦٢ بتصرف .

إلى ذلك مسالك عدة دعاهم باسم الحجة و البرهان ، ثم دعاهم باسم الايمان ثم دعاهم باسم الحسن و الوجدان .

أولا : دعاهم باسم الحجة و البرهان فى قوله جل شأنه : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن » الآية (١) .

فالله تعالى يقول لهم أيها السامرون الساخرون الذى نصبوا أنفسهم حكماً فيما بينهم و بين الناس — فلأنفسهم أبداً الرضا و الثناء و الحمد ، و لغيرهم أبداً السخط و الهجاء و الذم — هل أعدتم أنفسكم حقاً لمنصب هذا الحكم ؟ هل أحطتم علما بما فيه تحكمون ؟ إنكم تعرفون من شئون الناس جانباً و يفوتكم منها جوانب ، و إنكم ترضون من أنفسكم لمحات من الخير و تنسون فيها كثيراً من المعايب ، فهلا بدأتم بالحكم على أنفسكم قبل أن تحكموا على غيركم ؟ ، و هلا شغلتكم عيوبكم عن عيوب إخوانكم ؟ وهل آمنتم أن ينقلب الميزان عند الله فيكون الحكم عليكم لا لكم ؟ .

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة الآداب التالية :

١ — النهى عن السخرية ، وهى احتقار الغير واستصغاره لغير سبب ظاهر (٢) . سواءاً كان الاستصغار بالعبارة ، أم بالاشارة ، أم بأى طريقة مفهمة لمعنى التحقير .

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١١ .
(٢) لو احتقر الانسان غيره لفعله السئ أو لتكبره على الناس مثلا لم يكن ذلك منهياً عنه .

و إنما نهى الله عن ذلك ، لما فيه من الاستهانة بأقدار الناس و كراماتهم ، و لأنه يجرح شعور المستهان به و يؤذيه (١) .

فاذا كان المسخور منه بليد الشعور ، لا يتأثر بما يلحقه من إهانات ، فان النهى فى هذه الحالة لا يتناوله بل يكون تحقيره ضربا من المزاح الذى أحله الله . . . (٢) .

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها كانت على الناس أهونا

و فى الآية تعليل النهى بأن المستهزأ به قد يكون أزكى نفساً و أحسن عملا ، و أقرب إلى الله بمـا يقدمه من خير و بر ولا يعلم بذلك المستهزئ ، فيكون قد تعرض للظلم بتحقير ما يستحق التعظيم . . . .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « رب اشعث (٣) أغبر ، مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره » (٤) .

و روى مسلم ، عن جندب بن عبد الله : أن الرسول ﷺ قال : « قال

(١) إسلامنا للشيخ سيد سابق ص ٢٧٨ .

(٢) فتح القدير ج ٥ ص ٦٤ — ٦٥ .

(٣) الاشعث غير مهذب الشعر . . . . و معنى الحديث أنه قد يكون رجل غير متجمل و ليس له منظر جميل يدفعه الناس و يطردونه عن أبوابهم لضعفه وفقره ، أو لرثاثة هيئته لو دعا الله مقسما عليه لاجاب دعاءه ، انظر الفائق فى غريب الحديث ج ٢ ص ٢٥٢ ، و إسلامنا ص ٢٧٩ و انظر تهذيب الأسماء و اللغات للنووى ٢/٥٧ .

(٤) أخرجـــه مسلم فى صحيحه ، و أحمـــد فى مسنده ، انظر صحيح مسلم (رقم ٢٦٢٢) و رياض الصالحين / ١٥٥ .

رجل : و الله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من الذى يتألى (١) على ألا أغفر لفلان ، إنى قد غفرت له ، و أحبطت عملك . . . » ، و الحديث فى مسلم برقم (٢٦٢١) .

إن سخرية الرجال من الرجال و النساء من النساء ، إثم كبير ، و شر لو لم يكن للانسان غيرة لأوبقه .

٢ — النهى عن ذكر العيوب و النقائص ، فان الطعن فى الأشخاص يجرح الصدور ، و يورث العدوان .

ثانيـا : ثم دعاهم القرآن الكريم باسم الايمان : فى قوله جل شأنه : « ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » (٢) .

فالله تعالى يقول لهم : أيها الهمازون اللمازون ، الغيابون العيانون ، إنكم لا تدرون كنه ما تفعلون ، و لو فكرتم قليلا لعرفتم إنكم لا تعيبون إخوانكم ، ولكن تسبون ربكم ، نعم إن أكثر ما تتفكهون به من عيوب الناس ، هى عيوب لا ذنب لهم فيها ، عيوب ألوانهم عاهات أبدانهم ، مظاهر فقرهم ورقة حالهم ، خمول أنسابهم ، مهنة آبائهم وأمهاتهم ، سوء أسمائهم و ألقابهم ، ألم تعلموا أن الله هو الذى أعطى كل شئ خلقه ، و ركبه فى الصورة التى اختارها له ، و أنه هو الذى يبسط الرزق لمن يشأ ، ويقبضه عمن يشاء ، هو الذى قسم معيشة الناس ، و رفع بعضهم فوق بعض درجات ، وهو الذى اخرج الناس من أصلاب آبائهم

(١) يتالى : يحلف عليه سبحانه ، و الحديث أخرجه مسلم (رقم ٢٦٢١) .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ١١ .

و أرحام أمهاتهم فلم يكن لأحد منهم الخيرة فى نبل مولده أو خسته، و فى شرف بيئته أو ضعتها، فمن تعيبون أذن ؟ ألستم تعيبون الرحمن فى صنعته ، و تتعقبون حكمه فى تدبيره و أسلوب قسمته ؟ أكفر أذن بعد إيمان ؟ أعودة إلى الجاهلية بعد أن شرفتم بنعمة الاسلام ؟ (١) .

ثالثا :

و اخيراً دعا القرآن المؤمنين باسم الوجدان المغروس فى فطرة كل إنسان، بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم ، و لا تجسسوا و لا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، و اتقوا الله ، إن الله تواب رحيم » (٢) و ههنا كشف القرآن عن الأبصار غطاءها، و أزاح عن الحقائق نقابها و أخرج جسم الجريمة ماثلا فى سوءة بادية ، تقذى بها العيون ، و ريح منتنة ، تزكم منها الأنوف ، و طعم كريه تعافه الأذواق ، و تغثى منه النفوس .

نعم من لم يعرف كنه جريمة الغيبة ، ولا حقيقة مرتكبيها ، فلينظر إليها و إليهم فى مرآة القرآن ، هنالك يرى ، و يالهول ما يرى، خوانا ممدوداً (٣) قد ألقيت عليه فريسة من البشر ، و يرى حول الخوان شرذمة جلودها جلود البشر ، و قلوبها قلوب النمر ، وقد جعلوا ينالون من هذه الفريسة ، لا رمياً بالسهام و النبال ، ولا طعناً بالخناجر و النصال ، ولكن قضما بالاسنان ولعقاً باللسان ،

(١) نخبه الأزهار روضة الأفكار ، ص ٦٤ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ١٢ .

(٣) الخوان : ما يوكل عليه ، معرب و فيه ثلاث لغات : كسر الخاء وهى الأكثر وضمها ، و اخوان همزة مكسورة . انظر المصباح المنير ص ٧١ .

فعل الضوارى بالرمم ، أمن البشر تراهم إذن ، أم فصيلة أخرى تاكل لحوم البشر ؟ ولو أنهم لاقوا فريستهم وجهاً لوجه ، و نبذوا إليها على سواء ، لقلنا أن فيهم بقية من شهامة ، ولكنهم لقوها مجردة من كل سلاح ، لما جره عن كل دفاع فأتوها من قبل ظهرها ، فى ساعة غفلتها ، بل فى وقت موتها ، فأقبلوا عليها نهشا ومصاً و عرقاً (١) فهل رأيت أفجر و أغدر ؟ أو هل رأيت أرذل و أنذل ؟ وما ظنك بعد هذا كله لو كان المأكولات للآكلين ، أخا فى أسرة النسب أو أخا فى أسرة الدين ؟ .

تلك هى جريمة الغيبة كما صورها القرآن فى كلمات يلقيها خالدة «ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا» (٢) و يمكننا أن نستلخص من الآية الكريمة الآداب التالية :

١— النهى عن أن يدعو أحد غيره بلقب يكرهه : و يطلق عليه لفظاً يسوءه أن يسمعه، بل الواجب أن يدعو أخاه المسلم بأحب الأسماء إليه . فان اطلاق لفظ قبيح على من اتصف بالاسلام غير كريم « بئس الاسم الفسوق بعد الايمان » (٣) .

٢— إن مخالفة هذه التعاليم ، و عدم مراعاتها ، ظلم ليسخط الله و يغضبه، لأن ارتكاب أمثال هذه الحماقات يفرق الجماعة و الله يريد للمسلمين أن يتعاونوا على البر ، و يتجمعوا على المصلحة ، و يعيشوا فى ظلال المحبة و المودة .

(١) عرقاً : يقال عرقت العظم عرقاً من باب قتل : أكلت ما عليه من اللحم، انظر تهذيب الأسماء واللغات ج ٣ ص ١٥ ، و المصباح المنير ص ١٥٤ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٢ ، و انظر نخبه الأزهار ص ٦٥ .

(٣) سورة الحجرات الآية ١١ .

٣— النهى عن الظن السئ ، وهو الحكم على الغير بأمر سئ من غير دليل ، فالتهمة و التخون للاهل و الاقارب و الناس من غير اعتماد على أدلة صحيحة اثم من الآثام ، وهو أكذب الحديث .

يقول الرسول الكريم ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة رضى الله عنه ، « أياكم و الظن فان الظن أكذب الحديث و لا تجسسوا ، و لا تناجشوا ولا تحاسدوا و لا تباغضوا و لا تدابروا ، و كونوا عباد الله اخوانا » (١) و إنما كان الظن أكذب الحديث لأنه رجم بالغيب ، و هتك لحرمة المظنون به ، فان أعلن أحد عن نفسه ، و جاهر باثمه فان الظن فى هذه الحالة ليس بحرام ، لان الأمر خرج عن دائرة الظن إلى منطقة اليقين فمن وضع نفسه موضع التهمة ، فلا يلومن من أساء به الظن ، وقلما يخلو قلب عن إساءة الظن بالغير .

علاج الظن السئ :

و قد وضع الرسول ﷺ لذلك العلاج فقال : ثلاث لازمات لأمتى : الطيرة والحسد و سوء الظن ، فقال رجل : وما يذهبهن يارسول الله ممن هن فيه؟ فقال : إذا حسدت فاستغفر ، و إذا ظننت فلا تحقر و إذا تطيرت فامض » (٢) .

الظنون التى يجب اجتنابها :

قال الامام القرطبى — رحمه الله تعالى : و الذى يميز الظنون التى يجب

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ج ٨ ص ٢٣ و أخرجه البخارى فى صحيحه بألفاظ قريبة من هذا ج ١٠ ص ٤٠٤ و أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٣) و (٢٥٦٤) و أبو داود برقم (٤٩١٧) مختصراً .

(٢) رواه الطبرانى : قال العراقى — فى هذا الحديث — : فى سنده إسماعيل ابن قيس الانصارى وهو ضعيف ، و كذلك رواه أبو الشيخ فى كتابه التوبيخ ، و روى مرسلا عن الحسن البصرى ، انظر ، قبس من مكارم الاخلاق و الآداب . د . عاطف أمان ص ٨٠ .

اجتنابها عما سواها : أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة ، و سبباً ظاهراً كان حراما واجب الاجتناب ، و ذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه التستر و الصلاح ، و أونست منه الأمانة فى الظاهر ، فظن الفساد به ، و الخيانة محرم ، بخلاف من اشتهر بين الناس بتعاطى الريب ، و المجاهرة بالخبائث ، كالدخول فى مواضع التهم ، كحانات الخمور ، و الخروج منها ، و صحبة الغوانى الفاجرات ، فلا حرج فى ظن السوء به ، و إن لم يره الظان يشرب الخمر أو يزنى ، أو يقترف المعاصى ، و لا عليه لواحتاط منه و تحرز (١) و فى الأول :— هو احسان الظن بالمسلم المستور الذى ظاهره الخير و الصلاح و قد ورد فى ذلك قول الرسول الكريم ﷺ : « إن الله حرم من المسلم دمه و عرضه ، و أن يظن به السوء » (٢) .

حكم الظن الذى يخطر على النفس :

قال الامام الخطابى : إن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه ، و يستقر فى قلبه دون ما يعرف فى القلب و لا يستقر ، فان هذا لا يكلف به لما جاء فى حديث الرسول ﷺ أنه قال : « تجاوز الله لأمتى ما حدثت به أنفسها مالم تكلم به أو تعمل به » (٣) .

و تأويل ذلك على الخواطر التى لا تستقر ، ونقل القاضى عن سفيان أنه قال : الظن الذى يأثم به هو : ما ظنه وتكلم به فان لم يتكلم لم يأثم (٤) . « يتبع »

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ١٦ ص ٣٣٢ .

(٢) اتحاف السادة المتقيب بشرح إحياء علوم الدين ج ٧ ص ٥٥٢ ، و قال : قال العراقى رواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف ، رواه ابن ماجة بنحوه .

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الطلاق ، باب الطلاق فى الاغلاق ، أخرجه مسلم فى كتاب الايمان ، و أخرجه الترمذى فى كتاب الطلاق باب : ما جاء فيمن يحدث نفسه بطلاق امراته ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٤) قبس من مكارم الأخلاق و الآداب ص ٨١ .

كعب بن زهير ، نسبه و شعره

—(٥)—

بقلم : الأستاذ المحقق أبو محفوظ الكريم معصومى
أستاذ فى الحديث و التفسير
بالمدرسة العالية بكلكتا (غرب البنغال)

استهلت قصيدة كعب بن زهير المباركة بلفظ (بانت سعاد) و ذكر السيوطى نقلا عن الزبيدى بأن بندار الأصبهانى وحده ، كان يحفظ سبعمائة من القصائد كلها تبتدىء بهاتين اللفظتين (١) لكن هذا العدد الهائل إنما ذكره العلامة القفطى فى إنباه الرواة له (٢) أما الزبيدى فجاء فى النسخة المنحدرة إلينا لكتابه طبقات النحويين و اللغويين ، نقلا عن أبى على القالى أن بندارا قد حفظ مائة قصيدة تبتدىء ببانت سعاد (٣) فلعل السيوطى أخطأ فى تسمية المصدر ، ثم ذكر أحمد الشروانى فى الجوهرالوقاد له (٤) أن حمادا الراوية كان يحفظ سبعمائة قصيدة و كان بندار يحفظ تسعمائة قصيدة تبتدىء كلها ببانت سعاد و الظاهر أن أقوالهم هذه تطرق إليها كثير من المبالغة ، فقد ذكر العلامة الزرقانى عشر قصائد مبدوءة ببانت و نقل أوائلها (٥) وهى للقائلين على الترتيب الآتى : زهير بن أبى سلمى ، ربيعة بن

(١) راجع بغية الدعاة : ص ٢٠٨ .

(٢) انظر إنباه الرواة على أنباه النحاة ج ١ ص ٢٥٦ رقم ١٥٧ .

(٣) انظر أبو بكر الزبيدى : طبقات النحويين و اللغويين — ص ٢٢٨ .

(٤) انظر الشروانى ، الجوهر الوقاد (ط كلكتا سنة ١٢٣١هـ) ص ١١ .

(٥) راجع الزرقانى شرح المواهب اللدنية ج ٣ ص ٥٩ — ٦٠ .

مقروم الضبى ، قعنب بن ضمرة . نابغة الذبيانى ، عدى بن الرقاع و قيس بن الحدادية — لكل واحد منهم قصيدة قصيدة ، و لكل من الأعشى ميمون و الأخطل قصيدتان .

سعاد التى أقلقت الشاعر بالبين و ورد عنها فى بعض الروايات أن النبى الكريم عليه السلام سأله عنها فقال : هى قرينتى ، هذه الرواية أنكر صحتها الامام ابن كثير (١) على أن الحافظ فخر الاسلام أبو المحاسن الرويانى (٢) (٤١٥—٥٠٢هـ) فلعله اعتمد هذه الرواية أو نحوها مما انتهى إليه فقد صرح فى كتاب البحر له بأن سعاد زوجة كعب و كانت بنت العم و اختار هذا القول العلامة الشامى من المتأخرين (٣) غير أن ابن هشام النحوى الشارح للقصيدة لم يشر قط إلى شئ من هذه الرواية .

و من طرائف النكت الأدبية التى اتفق وقوعها فى أثناء الانشاد أن كعبا لما بلغ فى بيت القصيدة إلى قوله (من سيوف الهند) فغيره رسول الله ﷺ إلى (من سيوف الله) و لهذا التنقيح قيمة سنية لصدوره من مشكاة النبوة و هذه النكتة رواها الحاكم كما نقل عنه العلامة الزرقانى (٤) فى شرح المواهب اللدنية و كما أن ابن هشام الأنصارى النحوى ذكرها أيضاً (٥) و لكن بدون الاشارة إلى مصدره .

(١) راجع ابن كثير البداية و النهاية ج ٤ ص ٣٧٣ .

(٢) راجع لترجمته طبقات الشافعية الكبرى (الأولى) ج ٤ ص ٢٦٤—٢٦٨ .

(٣) انظر شرح المواهب اللدنية للزرقانى ج ٣ ص ٥٧ — ٥٨ .

(٤) نفس المرجع الآنف ج ٣ ص ٥٩ .

(٥) ابن هشام الأنصارى شرح بانت سعاد ص ٨٣ .

ثم يروى هذا البيت باختلاف فى صدره ، فجاء فى رواية (أن الرسول لسيف) و فى أخرى (أن الرسول لنور) و الرواية الثانية أهملها صاحبنا ، على أن ابن إسحاق مؤلف السيرة و ابن هشام صاحب مختصر السيرة و الحاكم صاحب المستدرك اتفقت رواياتهم « على النور » و كذلك هى فى الاصابة لابن حجر (١) مع ذلك أورد بعضهم الرواية الأولى أى (لسيف) أما ابن قتيبة و أبو زيد القرشى فمشيا على رواية (لنور) فى طبقات الشعراء و جمهرة أشعار العرب (٢) و ذكر ابن هشام الأنصارى (لسيف) فى النص و ألم بذكر رواية « النور » فى الشرح حيث قال : و يروى (لنور يستضاء به) وهو حسن (٣) و أخذ الشيخ إبراهيم الباجورى يرجح (٤) رواية (لسيف يستضاء به) و يبدى المناسبة بأسلوب القرآن الحكيم حيث ورد بالاشارة إلى رسول الله (سراجاً منيرا) (٥) .

مما يستلفت النظر فى هذا الصدد أن كلمة (لسيف) على فرض أنها كانت الرواية الأصيلة الأولى فيصير ما تلاها (مهند من سيوف الله) تكراراً للمعنى

(١) انظر مختصر السيرة لابن هشام (الروض الأنف) ج ٤ ص ١٦٠ ، و الحاكم المستدرك ج ٣ ص ٥٨١ و ابن حجر الاصابة ج ٣ ص ٢٧٩ .

(٢) ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء (ط . مصر ١٩٣٢) ص ٦٢ ، القرشى ، جمهرة أشعار العرب (ط . مصر ١٩٢٦) ص ٣١٢ المشوبات) .

(٣) ابن هشام الأنصارى : شرح بانت سعاد — ص ٨٣ .

(٤) إبراهيم الباجورى ، حواشيد على بانت سعاد — ٨٤ .

(٥) يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيرا ، و داعياً إلى الله باذنه و سراجا منيرا (الأحزاب . . .)

فقط و على الظاهر يستبعد من فحل مفلق مثل كعب رضى الله عنه أن يمشى على مثل هذا التكرار ، بيد أن الرواية الثانية (لنور يستضاء به) تبدو أثبت ، حتى من جهة المعنى ، و تنتهى بالبيت إلى قمة الروعة و البراعة ، فان القول فى صدر البيت بأن النبى عليه السلام : نور ، و فى العجز بأنه (مهند مسلول) يتجلى فى نهاية الاجادة والوصف و بعبارة أخرى هذا هو التصوير الفنى البارع للغاية ، فان الجمع فيه بين صفتى الجمال و الجلال يلبس المعنى نوراً فوق نور ، و أما على تقدير الرواية الأولى فيتضاءل و يتلاشى ذلك الجمال الفنى ، ثم إذا لا حظنا عند ذلك جانب التحليل النفسى للشاعر فهو أيضاً يساعدنا على ترجيح ما ذكرنا . . . و أقوى ما يحتج به فى هذا الصدد لفظ كعب بن مالك الأنصارى على ما ورد فى حديث توبته :

« و كان رسول الله ﷺ ، إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه » .

ثم ما ساقه البخارى بسنده إلى أبى إسحاق السبيعى ، قال : سئل البراء (رضى الله عنه) أكان وجه النبى ﷺ ، مثل السيف ؟ قال : لا ، بل مثل القمر (انظر صحيح البخارى باب صفة النبى ﷺ (ط . الهند) ص ٥٠٢) .

و هناك اختلاف آخر فى عجز البيت : فقد ورد عند ابن هشام فى مختصر السيرة له (١) (مهند من سيوف الله) بينما ثبت فى رواية الحاكم و أبى زيد القرشى (و صارم من سيوف الله) (٢) و إن استحق الترجيح فيما أرى ما ورد فى مختصر السيرة مع ذلك فيصعب القول بأن يقول كعب وهو من مصاقع البلغاء (مهند من سيوف الهند) و ذلك من جراء أن قوله (من سيوف الهند)

(١) المرجع السالف . (٢) المرجع السالف .

تواً بعد قوله (مهند) يبدو حشواً ولا يعد ذلك حشو اللوزنيج ، و إن اجتهد العلامة الزرقانى فى تحسين ذلك ببعض توجيهاته ، و الحق الحقيق بالاتباع أن إلمامته بما اختار لاتخلو من تكلف ياباه الذوق فهاكم نص قوله : « أى أنه معدود من سيوف الهند لنفاسته كما يقال زيد من الرجال فليس تكراراً مع قوله : مهند » (١) ويقول العاجز أن الفرق بين (مهند من سيوف الهند) و (زيد من الرجال) ملموس على الظاهر ، و لكنه من المحتمل أن كعبا رضى الله عنه ارتجل قائلا (و صارم من سيوف الهند) ثم سمع النبى الكريم قد غير لفظه إلى (من سيوف الله) فكأنما سنح للشاعر أن يحول (و صارم) إلى (مهند) و أظن أن هذا مما وقع عليه اختيار الشاعر نفسه نتيجة لمزيد التنقيح و خاصة بعد أن سمع من لسان النبوة (من سيوف الله) فانتقل ذهنه تلقائياً من لفظة جيدة إلى أخرى تفوقها فى الجودة ، فان المعنى الذى عبر عنه الشاعر أولا وقبل كل شئ بفقرة مسهبة أى « و صارم من سيوف الهند » قد تم له الآن أن يؤديه تماماً بلفظة واحدة (مهند) .

ما إن بدأ كعب ينشد النبى عليه السلام كلمته هذه إلا و قد أطلت عليه البشائر إلى أن بلغ هذا البيت الشيق ، فعند ذلك تهلل محيا رسول الله ﷺ استبشاراً و أشار على الأصحاب رضى الله عنهم أن يصغوا إليه ، ذكر ذلك من كبار المتقدمين موسى بن عقبة فى كتاب المغازى له و تلاه ابن عبد البر حيث صرح به فى الاستيعاب و هذا لفظ الحاكم فى المستدرك (٢) : « أشار رسول الله ﷺ بكمه إلى الخلق ليسمعوا منه » .

(١) هاك قول الزرقانى بنصه : أى أنه معدود من سيوف الهند لنفاسته كما يقال زيد من الرجال فليس تكراراً مع قوله (مهند) شرح المواهب ج ٣ ص ٥٩ .

(٢) البداية و النهاية ج ٤ ص ٣٧٣ وما قاله موسى بن عقبة رواه أيضاً الحاكم ✤

ثم عند مرور الشاعر بهذا البيت أو واسطة القلادة منحه رسول الله ﷺ بردة كانت على منكبيه إذ ذاك ، و اشتهر أمرها بأثر مرسل عن ابن المسيب ، و كانت البردة ذات رقمين ، وكانت حبرة يمانية ثم رأها محمد بن هلال على الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك كما روى عنه ذلك باسناد بلغ الحافظ شرف الدين الدمياطى (ت ٧٠٥) من أعلام القرن السابع الهجرى (١) .

قد بلغت قصيدة (بانت سعاد) منتهى درجاتها و أقصى غاياتها من القبول فى الحضرة النبوية فلا غرو ان تستوى على دورة السنام من الشرف و لا تزال تعد فى البدائع النيرة ، إلى جانب محاسنها الجمة هى عديمة النظير من حيث إنها وثيقة رائعة جداً من وجهة النظر التاريخية و الأدبية ، و تمتاز بميزاتها فى مكتب الآداب الاسلامية الجمهرة عبر العصور ، و لعلها أطول قصيدة استمرت تروى فى مجالس التحديث مع استيفاء الشروط العالية لصحة الأسانيد ، فقد جاءت بتمامها فى المستدرك لأبى عبد الله الحاكم النيسابورى ودلائل النبوة للبيهقى فى واحد وخمسين بيتاً ، باسناد متصل كما أن الحافظ ابن كثير نقلها بطولها عن دلائل البيهقى (٢) ، و ممن رواها أبو بكر محمد بن خير الأشبيلى أحد مشاهير علماء الأندلس ، عن شيخه القاضى أبى بكر بن العربى ، و تلقاها ابن العربى ، عن ثلاثة من كبار مشايخه

✤ راجع المستدرك ج ٣ ص ٥٨٢ — ٥٨٣ و هذا لفظه : أشار رسول الله ﷺ بكمه إلى الخلق ليسمعوا منه و انظر الاستيعاب (هامش الاصابة) ج ٣ ص ٢٨٢ .

(١) انظر شرح المواهب اللدنية — ج ٣ ص ٦٠ .

(٢) راجع مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٨٠ - ٥٨٢ و ما نقل ابن كثير عن دلائل النبوة للبيهقى (البداية و النهاية لابن كثير ج ٤ ص ٣٧٢، ٣٧٣).

فى العلم و الأدب ، و هؤلاء الثلاثة : أبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى و له شرح على القصيدة معروف ، و الامام أبو الحسن على بن سعيد العبدرى الشافعى و أبو الفضائل محمد بن أحمد بن عبد الباقى بن طوق البغدادى ، رواها كلهم بدوره عن أبى محمد الحسن بن على الجوهرى : قال أنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيوية قال أنا أبو بكر عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن إبراهيم بن المنذر عن الحجاج بن ذى الرقيبة بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير بن أبى سلمى عن أبيه عن جده (١)، وبينما رواها ابن العربى عن التبريزى أخذ أيضاً شرحه عليها .

هذا و كثير من رواة الشعر و الأدب اشتغلوا برواية منها تحقيقاً و تثبتاً و اعتنوا بضبط الروايات حرفاً حرفاً ، و شرذمة من أعلام اللغة و النحو الحذاق ، علقوا عليها بشروح و تعليقات نفيسة ، و جمع غير يسير من الشعراء و الأدباء اتخذوها مثلا أعلى لمنظوماتهم فى المديح النبوى و ممن تتبع لهما الشيخ شرف الدين البوصيرى و استهل قصيدته النبوية هذه بالبيت التالى :

إلى متى أنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسئول (٢)

و قد طبعت سنة ١٣٠٥هـ بتونس (٣) ، ثم اقتفاها العلامة خليل بن أيبك الصفدى فى سبعة وستين بيتاً أولها :

سلوا الدموع فان الصب مشغول و لا تملوا فنى إملائهـا طول

(١) راجع ابن خير الأشبيلى ، الفهرسة (الطبعة الحديثة سنة ١٩٦٣ ، ١٣٨٢) ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .

(٢) الكتبى فوات الوفيات ج ٢ ص ٤١٨ ، الصفدى الوافى بالوفيات ج ٣ ص ١١٢ .

(٣) يوسف اليادە سركيس : معجم المطبوعات ، ص ٦٠٥ .

و قد أثبتها بطولها فى الجزء الأول لكتابه الوافى بالوفيات ، بآخر السيرة النبوية التى استهل بها هذه الموسوعة (١) الجليلة و ممن خمس القصيدة الكعبية الشيخ الكسائى و محمد بن شيبان القرشى الشافعى المصرى كما ذكرهما الحاج خليفة (٢) ، والشهاب الدولتا بادى من كبار أعلام الهند فى القرن الثامن شرح قصيدة كعب رضى الله عنه شرحاً مفصلا و سماه المفضل (٣) ، و بعضهم من المتأخرين يلقب (كاملى) نقلها إلى الفارسية نظماً ، و صدر هذه الترجمة المنظومة بمقطوعة طويلة تحتوى على ترجمة كعب بن زهير مع سبب النظم ، لعلها نشرت لأول مرة فى سنة ١٨٨٩ فى ضمن مجموعة طبعت بمطبعة نول كشور ثم أعيد طبعها مع شرح بالفارسية يسمى « سرور العباد » .

زعم المستعرب R. Bassel أن قصيدة كعب تسمى (البردة) بمناسبة المنحة النبوية التى أصابها صاحبها (٤) و لكننى لا أعرف ما يدل على هذه التسمية غير المناسبة المذكورة وحدها ، وقد ذكرنا آنفاً أن موسى بن عقبة ذكرها باسم (بانت سعاد) ثم نمر بشارح السيرة النبوية الشيخ أبى ذر محمد بن مسعود الخشنى فاذا هو يذكر بصددها قائلا ما نصه : « ليس فى المغازى أشهر من هذه القصيدة و هى القصيدة اللامية الطويلة (٥) ، فيتوضح بتعريفه إياها بهاتيك الكلمات أنها لم تكن تسمى لعهد الخشنى بالبردة .

(١) الصفدى الوافى بالوفيات ج ١ ص ٢١٨-٢٢٨ .

(٢) حاجى خليفة كشف الظنون (فلوغل) ج ٤ ص ٥٢٢ .

(٣) هذا الشرح مطبوع متداول فى ضمن منشورات دائرة المعارف الدكنية .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الأولى) ترجمة كعب رضى الله عنه .

(٥) شرح السيرة النبوية (ط . مصر ١٣٢٩) ص ٤١٥ .

أما صاحبنا الدكنى فله اعتناء خاص بهذه المسألة ، و هو يعتقد أن قصيدة كعب أحق بأن تسمى بالبردة لكنه مع هذا الجزم لم يرودنا فى ذلك بنقل موثوق عن أى واحد من المتقدمين ، ومهما يكن فقد انقرضت ستة قرون متوالية وفى أثنائها لعلها لم تسم بالبردة كما لم تسم بها قصيدة أخرى للمغرمين بالنظم فى المديح النبوى إلى أن اتفق فى غضون المائة السابعة للهجرة أن القصيدة الميمية للبوصيرى شرف الدين طبقت العالم باسم البردة .

مهما يكن السبب لعدم اشتهار القصيدة الكعبية بهذا الاسم فان البردة الشريفة التى منحها النبى عليه السلام للكعب على كلمته هذه سبق لنا الاشارة بخصوصها ، و قد ذكرها ابن قانع من المؤلفين فى تراجم الصحابة و أبو بكر بن الأنبارى من جلة الأدباء اللغويين و رواة الشعر و بيانهم ، فى الجملة راجع أساسياً إلى الرواية المرسلة التى رواها ابن المسيب غير أن لا ذكر لها فيما انحدر إلينا من أخبار كعب عن بقية ولدانه ثم لم يشر إليها السهيلى الشارح لمختصر السيرة لابن هشام و لا ابن عبد البر القرطبى ، فهذا الصمت من ناحيتهم بصدد هذه المنحة لا يخلو من أهمية ، مع ذلك نمر بأمارات و قرائن تؤيد ما رواه ابن المسيب و محمد بن هلال ، فقد كان حصل غير كعب أيضاً على برود قد لبسها النبى عليه السلام أو لم يلبسها ثم منحها بعض الوافدين عليه من هؤلاء الأصحاب و غيرهم فدونكم بعض التفاصيل على ما يلى :

١— قد نسجت إحدى نساء الأنصار شملة بيدها ، فأهدتها النبى عليه السلام فقبل منها هديتها ثم تأزر بها وخرج إلى الصحابة فجلس يتحدث معهم ، فى أثناء ذلك واحد من الصحابة استحسن هذه الشملة وسألها منه عليه السلام حتى أعطاه

إياها و هذا الصحابى ورد التصريح باسمه فى رواية عند الحافظ الطبرانى أنه سعد بن أبى وقاص و ذكر المحب الطبرى بالاستناد إلى رواية أخرى أنه هو عبد الرحمن بن عوف و كان هذا السائل أراد أن يتخذها كفنا لنفسه فاستبقاها بعد حصوله عليها وصارت كفناً له (١) .

٢— توفيت إحدى بنات النبى عليه السلام فتقدمت أم عطية الأنصارية تغسلها و فى النهاية أرسلت إلى النبى عليه السلام تخبره بذلك فبعث إليها بازاره لتلف جثة السيدة الكريمة فيه (٢) و جاء فيما حققه شراح الحديث أنها السيدة زينب بنت رسول الله .

٣— ولما توفى عبد الله بن أبى بن سلول أعطاه رسول الله قميصه ليكفن فيه (٣) و كان عبد الله ألبس قميصه عباس بن عبد المطلب فى أسرى بدر القتال .

٤— أورد ابن سعد خبر حلة اشتراها الصحابة ليكفن فيها النبى عليه السلام ثم ردوها ، و فى رواية أنهم ألبسوها الجسد المطهر ثم غيروا رأيهم فخلعوها ، فأخذها عبد الله بن أبى بكر لكفنه ثم قال لو ارتضاها الله كفنا لنبيه لما ردوها و لا خلعوها ، فباعها و تصدق بثمنها ، و فى هذا الصدد ورد عن أم المؤمنين الصديقة أن رداء يمانياً أحضر فرد (٤) .

(١) انظر البخارى الجامع الصحيح (كتاب الجنائز) ص ١٧٠ ، ص ٢٨١ ، (كتاب للعباس) ص ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٩٢ .

(٢) أيضاً المرجع الآنف (كتاب الجنائز) ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ .

(٣) أيضاً المرجع الآنف (كتاب الجنائز) ص ١٦٩ ، ١٨٠ ، ص ٤٢٢ ، ص ٦٧٣ ، ٦٧٤ .

(٤) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٩٨ ، ١٠٣ ، سنن الترمذى (ط. الهند) ج ١ ص ١٣٩ .

٥— كانت عند أم المؤمنين الصديقة ملبدة وازار ، توفى فيها النبى عليه السلام ، و أبو بردة ممن رأهما عند أم المؤمنين فذكرت له شأنها (١) .

٦— وفد قرة بن هبير من بنى سلمة بن قشير على النبى عليه السلام ، فطلب منه إزاراً ورداء قد لبسهما فأعطاه حلة مستعملة ، هذا الخبر رواه عاصم و ابن شاهين ، مع جهالة بعضهم فى الاسناد (٢) و ذكر وفادته أبو زيد القرشى نقلا عن ابن اسحاق و زاد : إن النبى ﷺ أعطى قرة بردتين وناقة (٣) ، و هذه المنح ذكرها قرة فى قطعة من شعره منها ما انحدر إلينا :

حباها رسول الله إذ نزلت به ... و أمكنها من نائل غير مفند (٤)
فما حملت من ناقة فوق دخلها ... أبر و أوفى ذمة من محمد (٥)
و أكسى لبرد الحال قبل ابتذاله ... و أعطى لرأس السابح المتجرد

(١) البخارى ، الجامع الصحيح (ط. الهند) ص ٤٣٨ (باب ذكر من درع النبى ﷺ) ص ٨٦٥ .

(٢) تاريخ الامم و الملوك لابن جعفر الطبرى (ط. مصر ١٩٣٩م) ج ٣ ص ٢٤١ (سنة ٦٠) سنن الترمذى ج ١ ص ١٢٤ .

(٣) راجع الاصابة ج ٣ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ رقم ٧١٠٨ .

(٤) أنظر جمهرة أشعار العرب : ص ١٧ فى الجمهرة (مفند) بتقديم الفاء على النون و فى الاصابة (مفقد) محرفا ، و لعل الصواب ما اثبته .

(٥) يوجد فى الاصابة البيت التالى مكان البيت المنقول عن القرشى :
فأضحت بروض الخضر وهى حثيثة ... و قد أنجحت حاجاتها من محمد

٨— بأثناء مقام النبى ﷺ تبوك لقيه يحنة بن رؤبة ملك أيلة و أهدى له بغلة بيضاء فأعطاه النبى كتاباً يتضمن له الأمان و بردة (١) و جاء فى بعض الأقاويل أن هذه البردة حصل عليها بنو عباس بدورهم فكانت فى خزانتهم (٢) .

٩— ذات مرة صلى رسول الله ﷺ فى خميصة فما أن سلم إلا شكا من إخلالها بخشوعه فأرسلها إلى أبى جهم و أن يؤتى إليه بانبجانية أبى جهم (٣) .

قد أسلم أبو جهم فى الفتح وعاش (٤) إلى سنة ٦٤—٦٥ هجرية فكم بقيت هذه الخميصة عند أبى جهم أو عند أسرته لسنا منها على بينة .

من بين هذه الحوادث يؤخذ على الأقل أن الأردية النبوية المذكورة برقم ٥ إلى رقم ٩ بقيت عند أصحابها بعد الوفاة النبوية إلى وقت معلوم ، ولكن التفاصيل التى وصلتنا عن خزانة بنى أمية ثم بنى عباس يأتى فى ضمنها بالخصوص إما خبر البردة التى أصابها كعب بن زهير وإما خبر البردة التى حصل عليها ملك أيلة ، و إن هذه البردة خاصة أصابها بنو عباس و كانت عندهم فى الخزانة .

ثم نمر برأى الحافظ ابن كثير بصدد هذه المسألة و هو مبنى على أساس

(١) البخارى ، الجامع الصحيح ص ٢٠٠ ، ٢٥٦ ، ٤٤٨ ، فتح البارى ج ٦ ص ١٩١ ، إنسان العيون ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٢) راجع إنسان العيون ج ٢ ص ٣٣٧ و انظر الأقاويل بمعظمها فى الآثار النبوية لأحمد تيمور باشا (ط. مصر ١٩٥٥م) ص ١٦ - ٢٦ .

(٣) راجع البخارى ، الجامع الصحيح : ص ٥٤ ، ١٠٤ ، ٨٦٥ .

(٤) انظر الاصابة (الكنى) ج ٤ ص ٣٥ — ٣٦ رقم ٢٠٧ ، الاستيعاب (هامش الاصابة) ج ٤ ص ٣١ — ٣٢ .

من البحث و التحقيق وحقيق بالاعتبار فلابد أن نسرده بلفظه على ما يلى (١) :

« ورد فى بعض الروايات أن رسول الله ﷺ ، أعطاه بردته حين أنشده القصيدة ، و قد نظم ذلك الصرصرى فى بعض مدائحه ، و هكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن بن الأثير فى الغاية ، قال : و هى البردة التى عند الخلفاء ، قلت و هذا من الأمور المشهورة جداً و لكن لم أر ذلك فى شىء من هذه الكتب المشهورة باسناد أرتضيه ، و الله أعلم » (٢) .

يقول العاجز قد ذكر بردة كعب و اتصالها بالخلفاء الأمويين ابن يزيد فى الاشتقاق (ص ١٨٢ ط مصر) و من تلاهم (٣) أبو حنيفة الدينورى من قدامى المؤرخين ، مع ذلك لا مجال لمزيد النظر فى هذه المسألة بعد ما أبداه الحافظ ابن كثير من الملاحظة القيمة ، و قد أشرنا إلى الجهتين نفياً و إثباتاً بما فيه كفاية فسنلتق الأضواء على تسمية ميمية البوصيرى بالبردة ، ومن الله التوفيق .

(يتبع)

(١) راجع ابن كثير البداية و النهاية ج ٤ ص ٣٧٣ .

(٢) راجع الاشتقاق (ط. مصر) ص ١٨٢ .

(٣) قال الأستاذ إبراهيم حسن فى تاريخ الاسلام السياسى (ط. مصر ١٩٤٨) ج ١ ص ٦١٤ (ج ٣) ذكر كثير فى المصادر العربية أن النبى ﷺ خلع على كعب بن زهير فى ذلك اليوم بردته فبقيت فى أهل بيته حتى باعوه لمعاوية بن أبى سفيان بعشرين ألف درهم ثم بيعت للمنصور العباسى بأربعين ألف و لا تزال فى القسطنطينية إلى اليوم (اه) .

المفهوم الصحيح للضرورة

—(الحلقة الأخيرة)—

بقلم : فضيلة الأستاذ خالد سيف الله الرحمانى
تعريب : محمد فهيم أختر الندوى

إن كلمة « الضرورة » فى اصطلاح الفقه الاسلامى لا ترادف كلمة « الضرورة » فى كلام العامة و استعمالهم ، و من طبيعة الانسان أنه إذا تعود شيئاً من مرافق الحياة جعل يسميه بالضرورة . كما يجعل كل ما اقتضته طبيعته حاجة ، فاذا تقرر هذا معيار الضرورة و الحاجة ، ما بقى من مساوىء الأخلاق و مفاسدها فى العالم إلا و دخلت فى هذه الضرورة و الحاجة .

ذكرنا فيما سبق من مفهوم الضرورة فى نظر الشارع ، و الفقهاء لما يذكرون أصل « الضرورات تبيح المحظورات » يعنون به ذلك المفهوم الصحيح الخاص للفقه الاسلامى .

المشقة و اليسر : لا يريد الاسلام بالناس المشقة و العسر ، وانطلاقاً من هذا الهدف للاسلام ، استنبط الفقهاء أصولا عديدة تقصد التيسير و التخفيف فى الأحكام العسيرة الصعبة ، و لكن ليس من الميسور تعيين مفهوم « السهولة » بل يقتضى ذلك الدراسة الفقهية العميقة و الفراسة القانونية الزائدة .

يبدو من إلقاء النظر على أحكام الشريعة أنه ليس حكم من أحكامها خالياً عن المشقة تماماً ، إن العبادات الاسلامية تعز على النفس ، حتى إن عاداتنا اليومية أيضاً لا تخلو عن المشقة تماماً ، و الاكتساب الذى يرغب فيه الانسان بنشاط كامل ، و يعتبره ضرورة أكيدة أساسية له ، يصحبه كثير من المشاق و المصائب ،

فليس من الصحيح إذن أن يقال : إن الاسلام جاء ليخلص النـاس من جميع المشاق ، و يقصد أن لا يكون على الانسان أى نوع من المشقة .

فلا بد من السؤال أن المشقة التى تجلب التيسير و السهولة ما هى حدودها ؟ هذا أمر خطير جداً تكلم عليه فخر الاسلام البزدوى و أبو إسحاق الشاطبى و ابن نجيم المصرى و خضرى بك بكل تفصيل ، لا يتسع نطاق هذا المختصر لبيان كل ذلك ، و يمكن القول إجمالياً أن المشقة المستجلبة لليسر هى ما لا يقدر الانسان على القيام به قطعاً ، و ذلك يسمى تكليف ما لا يطـاق ، أو كانت المشقة عظيمة غير عادية على المستوى الجماعى .

الفرق بين الأحكام المنصوص عليها و غير المنصوص عليها :

و الجدير بالذكر هنا أن الأحكام المنصوص عليها تختلف تماماً عما لم ينص عليه ، فالأحكام المنصوص عليها لا تقبل أى تعـديل مهما اقتضت الضرورة أو المشقة أو الأعراف و العادات أو المصالح المستنبطة بالعقل و البصيرة ، قال الشاطبى فى كلامه على العرف و العادة :

« العوائد الشرعية التى أقرها الدليل الشرعى أو نفاها ثابت أبداً » (١) .

و قال زين العابدين و ابن نجيم المصرى :

« المشقة و الحرج إنما تعتبر فى موضع لا نص فيه ، و أما مع النص بخلافه فلا » (٢) .

و قال الزيلعى :

« إن الامام يقول : نجاسة الأرواث لقوله — تبارك و تعالى — « إنها

(١) الموافقات ٢/٨٣ .

(٢) الأشباه و النظائر الفن الأول ص : ١١٩ .

رِكس » أى نجس ، و لا اعتبار عنده بالبلوى فى موضع النص كما فى بول الآدمى ، فان البلوى فيه أعم » (١) .

و نظراً إلى القضايا الاستحسانية ظن بعض الناس أن التبديل يمكن إجراؤه فى الأحكام المنصوص عليها أيضاً لضرورة أو مصلحة ، و لكن الحقيقـة أن العدول عن أصل الشريعة العام على أساس مصلحة أو ضرورة شرعية لا يكون إلا فى القضايا الاستحسانية .

قال الشيخ أبو زهرة عن الاستحسان :

« وهو مخالفة القول السياسية لأمر اقتضى المخـالفة كالعرف و الضرورة أو المصلحة التى يمكن ربطها بنص ثابت » (٢) .

السنة : مصدر هام للتشريع الاسلامى

إن الحديث النبوى ثانى المصدرين للقوانين الاسلامية ، يرشد الانسان فى جميع جوانب حياته ، إنه بيان للقرآن و شرحه إلى حد كبير ، يبين أسباب نزول الآيات القرآنية و خلفياتهـا ، يشرح أحكام القرآن و يفسر مبهمه ، إنه تصوير صادق للمجتمع الاسلامى الصـالح النزيه الذى توجد فيه أحكام القرآن متمثلة ، إنه — كما ذكر القرآن — حكمة (الجمعة : ٢) و أسوة حسنة (الأحزاب : ٢٢) و بيان القرآن (النحل : ٢٤) و أمر واجب الطاعة (آل عمران : ١٣٢) .

فليس إهمال الحديث إلا مهاجمة على تعاليم الاسلام و روحه ، إن حجية الحديث و أهميته فى الاسلام أمر اتفقت عليه كلمة الأئمة ، فلا تمس الحـاجة إلى إيراد أقوال السلف و آرائهم بهذا الصدد ، و لكن نخص بالذكر الآن أقوال

(١) الأشباه و النظائر .

(٢) تاريخ المذاهب الفقهية ٢/٧٠ .

سيدنا عمر الفاروق و الامام أبى حنيفة اللذين نسب إليهما بعض أهل الأهواء فى عصرنا أنهما لا يعتبران الحديث حجة .

كان من عادة عمر أنه يرى الحديث أساساً بعد القرآن فى استخراج أحكام ما جد من الوقائع، فمن الأمور الشهيرة أن عمر أمر ذات مرة برجم المرأة الزانية المجنونة ، و ما أن بلغه حديث على أن المجنون ممن رفع القلم عنهم ، رجع عن قوله ، و قال : « لولا على لهلك عمر » و عدد ما روى عمر سبعة و ثلاثون وخمس مأة حديث ، و هذا العدد الهائل يوضح صراحة المنهج الذى سلكه عمر فى كون الحديث حجة عنده .

أما أبو حنيفة ، فقد بين طريق اجتهاده فقال : أنا أحكم بكتاب الله ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة ، و الأمثلة متضافرة فى كتب الفقه لما ترك فيه الامام القياس لمخالفته السنة .

فالحقيقة أن الاغفال عن الحديث باسم القضايا الجديدة خدعة كبيرة مع الاسلام، فانه ليس من الممكن حل القضايا المتجددة بالاستغناء عن مجموعة الحديث .

ضرورة التقليد :

و من اللائق أن نذكر هنا أن بعض الناس يرون ضرورياً لحل القضايا الحديثة أن يقطع رأس صنم « التقليد » فى زعمهم بالسيف المسلول « الاجتهاد » نحن لسنا بصدد إثبات ضرورة التقليد و الاستدلال لها ، فقد عالج كثير من المؤلفين هذا الموضوع ، ولا نزيد على القول بأن من هم مخلصون فى مثل هذه الدعاوى و محايدون فيها ليست لهم تجربة ولا لهم إدراك لخطورة عدم التقليد .

إذا لم يبق التقليد الشخصى واجباً فى هذا العصر و فتح باب الاجتهاد على مصراعيه فسيدخل فى الاسلام من تعديلات تذهب بكل شئ للاسلام سوى

اسمه، و ذلك بأيدى أولئك « المجتهدين » الذين يكونون له فى كل وقت بمرصاد ، كان الدكتور محمد إقبال الشاعر الاسلامى و أحد أعلام الهند المتأخرين من خواص المدعين للاجتهاد ، و لكن النتيجة التى أدته إليها تجاربه يوضحها فى الأبيات الفارسية التى يشير فيها إلى أخطار الاجتهاد بالرأى إذا صدر من علماء قاصرى النظر :

جلوه اش ما راز ما بيگانه كرد — ساز مارا از نوا بيگانه كرد
از دل ما آتش ديرينه برد — نور و نار لا إله از سينه برد
اجتهاد اندر زمان انحطاط — قوم را برهم همى پيچد بساط
زاجتهاد عالمان كم نظر — اقتدار بر رفتگان محفوظ تر

و الشيخ ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوى (١١١٤ — ١١٧٦) ذلك العالم النحرير الخبير بأسرار و حكم العلوم الاسلامية، الواقف على روح الشريعة و مزاجها و حكمتها و طبيعتها، المجاهر لآرائه غير خائف للومة لائم ، يقول : « إن هذه المذاهب الأربعة المدونة قد اجتمعت الأمة أو من يعتد به منها على جواز تقليدها إلى يومنا هذا ، وفى ذلك من المصالح ما لا يخفى لا سيما فى هذه الأيام التى قصرت فيها الهمم و اشربت النفوس الهوى و أعجب كل ذى رأى برأيه » (١) .

إن العلماء ما زالوا يقدمون حلول قضايا عصورهم ملتزمين بالتقليد الشخصى طول ألف عام ماضية ، تلك المدة كانت عصر أكبر الانقلابات السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الخلقية و الصناعية و العلمية و الفكرية ، وقد اضطروا أحياناً إلى الأخذ من المذاهب الفقهية الأخرى فى القضايا الفروعية ، أو إلى تغيير فى بعض الآراء وفقا لمقتضيات و تغيرات الأعراف و العادات و الأحوال .

(١) الانصاف : ٩٧ .

المنهاج الاسلامى لمشكلة التعليم و التربية

— ٢ —

بقلم : الأستاذ على عبد الموجود القاضى
الموجه العام بوزارة التعليم سابقاً

ثانياً : تربيه الانسان الصالح :

و إذا كانت التربية الغربية قد عنيت بتربيـة المواطن الصالح فان التربية الاسلامية قد عنيت بتربية الانسان الصالح ، وفرق كبير بينهما هو الفرق بين القومية الضيقة والانسانية العامة ـ ومن الأوضاع الطبعية فى التربية الغربية وجود الاستعمار و الاستغلال والظلم خارج الوطن ـ و هذا لا يخرج المواطن عن كونه صالحاً ـ بل لعل هذا هو السلوك الذى يجعله صالحاً ـ لكن الاسـلام هو الدين الذى ينادى بالمساواة الكاملة بين الناس جميعاً ، والقرآن الكريم يقول « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (١) و يهتف فى المسلمين « إن الله يأمر بالعـدل و الاحسان و إيتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى يعظكم لعلكم تذكرون » (٢) و ينادى المسلمين أن تكون العدالة بين الناس جميعاً حتى و لو كانوا غير محبوبين لهم فيقول « ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى » (٣) .

و أسلوب التعامل قائم على المودة و التسامح و احتساب الأجر عند الله تعالى يقول الله تعالى :

(١) سورة الحجرات : الآية ١٣ . (٢) سورة النحل : الآية ٩٠ .
(٣) سورة المائدة : الآية ٨ .

« و لا تستوى الحسنة و لا السيئة ادفع التى هى أحسن فاذا الذى بينك و بينه عـداوة كأنه ولى حميم و ما يلقاها إلا الذين صبروا و ما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » (١) .

و تربية الانسان الصالح تشمل تربيته من جميع النواحى ، الجسم و العقل و الوجدان و السلوك حتى يكون صالحاً .

تربيـــة الجسم :

العناية بتربية الجسم أساسية فى الاسلام لأن المؤمن القوى خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف فهو يستطيع أن يؤدى وظيفته ـ و تبـدأ العناية بالطفل جسمياً و هو فى بطن أمه فقد أباح الاسلام للأم الافطار فى رمضان إذا ما كان فى الصوم ضرر للطفل ثم العناية بارضاعه طوال عامين ، و قد جعل الاسلام من حقوق الولد على والده أن يعلمه السباحة والرماية و ركوب الخيل ، يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه « علموا أولادكم السباحة و الرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً » .

و اللعب يربى الجسم و لذلك كان حقاً من حقوق الطفل و كان رسول الله ﷺ يلعب مع الصبيان (٢) .

وفى الحديث أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الصبيان (٣).

و كانت السيدة عائشة تلعب بالبنات عند رسول الله ﷺ (٤) .

تربيـــة العقل :

العقل طاقة ضخمة أنعم الله تعالى بها على الانسان ـ و الاسلام يقدر هذه الطاقة ويدربها ليستخدمها المسلم فى أداء وظيفته ، و قد وضع لذلك المنهج الصحيح

(١) سورة فصلت : الآية ٣٤ . (٢) ابن حنبل .
(٣) ابن حنبل و مسلم . (٤) ابن حنبل و مسلم .

للنظر العقلى و طلب من المسلم تدبر نواميس الكون و تأمل ما فيها من دقة و ارتباط - كما طلب التثبت من كل شئ :

« إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (١) .

هذا المنهج جعل المسلمين يتميزون بالدقة العلمية فى اتجاهاتهم على الرغم من قلة الامكانات التى كانت معهم .

و الاسلام يوجه العقل البشرى إلى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور فى المجتمعات و يستخدم طاقاتها الواعية فى تدبرها و البحث عن أساليبها و نتائجها و طلب من الناس جميعاً أن ينظروا و أن يتفكروا « قل انظروا ماذا فى السماوات و الأرض » (٢) .

كما يوجه العقول إلى استخلاص الطاقة المادية و تذليلها لخدمة الانسان :

« فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه » (٣) .

و الاسلام رفع من شأن العلم و العلماء لأنهم هم الذين يقومون بمهمة التربية و يحققون رسالة الاسلام « يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات » (٤) .

وجعلهم المرجع الأخير فى الأمور « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٥) .

تحرير الوجدان :

و من أهم أهداف التربية فى الاسلام تحرير الانسان المطلق بتحرير وجدانه من عبادة غير الله تعالى و بتحرير الانسان أيضاً من الخضوع للقيم الاجتماعية كالحسب و النسب ، و قالها صريحة :

(١) سورة الاسراء : الآية ٣٦ .
(٢) سورة يونس : الآية ١٠١ .
(٣) سورة الملك : الآية ١٥ .
(٤) سورة المجادلة : الآية ١١ .
(٥) سورة النحل : الآية ٤٣ .

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » (١) .

و قد طلب الاسلام من المسلمين أن يتقوا الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، و جعل الأعمال بالنيات و لكل امرىء ما نوى .

و حرر النفس البشرية من أن تذل لأى شئ سواءاً كان ذلك حب المال أم حب النساء أم حب الجاه لأن ذلك كله متاع الحياة الدنيا و الله عنده حسن الثواب فى الآخرة و هى باقية غير فانية .

تهذيب السلوك :

و من أهداف التربية الاسلامية تهذيب السلوك الانسانى وجعله يسير على المنهج الاسلامى، فكل مسلم عليه أن يؤدى واجبه نحو نفسه ونحو أسرته و نحو مجتمعه و نحو ربه - و كل انسان راع و مسئول عن رعيته يقول ﷺ « كلكم راع و مسئول عن رعيته » (٢) .

كما تهدف التربية الاسلامية إلى البعد عن الانفعالات الضارة بالجسم والعقل و التى تثير العداوة و البغضاء بين أفراد المجتمع يقول الله تعالى :

« و الكاظمين الغيظ و العافين عن الناس و الله يحب المحسنين » (٣) .

ولا تكتفى التربية الاسلامية بهذا - بل إنها تهدف إلى أن تحل محلها الانفعالات الطيبة التى توصل إلى إسعاد الفرد وإسعاد المجتمع - كالعفو عن المسىء والعطف عليه و معاملة الناس بالحسنى « و لا تستوى الحسنة و لا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم و ما يلقاها إلا الذين صبروا و ما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » (٤) .

و المقياس الصحيح للأعمال الصالحة فى الاسلام : النية « و لذلك يقول النبى ﷺ « إن الله لا ينظر إلى صوركم و أجسامكم و لكن ينظر إلى قلوبكم

(١) سورة الحجرات : الآية ١٣ .
(٢) البخارى .
(٣) سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .
(٤) سورة فصلت : الآية ٣٤ - ٣٥ .

و أعمالكم » (١) .

والايمان الصحيح متى استقر فى القلب ظهرت آثاره فى السلوك ، والاسلام قوة متحركة لا ترضى بالسلبية - فهى بمجرد تحققها فى عالم الشعور تتحرك لتحقق مدلولها فى الخارج و لتترجم مدلولها فى الخارج و لتترجم نفسها إلى حركة و إلى عمل فى عالم الواقع (٢) .

و هدف الاسلام فى التربية يقوم على أساس تحويل الشعور الباطن بالعقيدة و آدابها إلى حركة سلوكية واقعية وتحويل هذه الحركة إلى عادات ثابتة أو قانون لتبقى حية متصلة بينبوعها الأصيل .

ثالثاً : خطة التربية :

أن توضع خطة التربية بأهدافها المتميزة لكل المشتركين فى التربية و هى الأسرة و المدرسة و المسجد و المجتمع بما فيه من أندية و أجهزة إعلام ووزارة ثقافة و غير ذلك .

وأن تكون خلفية الدراسات كلها من المنظور الاسلامى وأن تكون أسس التربية هى الايمان بالله تعالى و بوظيفة الانسان فى هذه الحياة ، و أن المعرفة حق انسانى — مع مراعاة الفطرة الانسانية و الفروق الفردية .

— أن يكون العلم واستخدام منتجات العلم باسم الله تعالى فى التلقى و فى البحث و فى الممارسة العلمية و العملية .

— أن يكون الحرص على الخلق القويم والسلوك السليم أساس من أسس التربية .

— أن يكون العمل لله تعالى و فى سبيل الله تعالى من المهد إلى اللحد .

— أن تتبع أهداف التربية من نظرة الاسلام التى ترى أن الانسان مخلوق متميز و أنه سيد هذا الكون و ليس عبداً إلا لله تعالى الذى خلقه فى أحسن تقويم ووكل إليه خلافة الأرض يعمرها طبقا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى .

« يتبع »

(١) ابن حنبل وابن ماجة . (٢) أضواء على التربية فى الاسلام - مرجع سابق .

نماذج من نساء العقيدة :

بركة (أم أيمن)

—(٣)—

بقلم : الأستاذ محمد حسن بريغش
عضو رابطة الأدب الاسلامى العالمية (الرياض)

و أم أيمن التى كانت لها كل هذه الميزات وحظيت بحضانة رسول الله ﷺ ، كانت لها مكانة عند رسول الله ، و تتجلى هذه المكانة بما كان يقول عنها « أم أيمن أمى بعد أمى » (١) .

و يقول لها « يا أمه » ، و يقول كذلك : « هذه بقية أهل بيتى » (٢) بل كان يمازحها ، و هى تلطف له أيضاً :

عن أبى معشر عن محمد بن قيس قال : جاءت أم أيمن .

فقالت : يا رسول الله احملنى .

قال : أحملك على ولد الناقة .

قالت : إنه لا يطيقنى ، ولا أريده .

قال : لا أحملك إلا عليه « يعنى يمازحها » (٣) .

و عن ثابت بن أنس قال : ذهب رسول الله ﷺ إلى أم أيمن زائراً ،

(١) الاصابة ٨ — ١٦٩ . (٢) سير أعلام النبلاء ٢ — ٢٢٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٦ و الحديث عن أبى نعيم — و قال : اسناده ضعيف و مرسل ، و تمامه : (و كان رسول الله يمزح و لا يقول إلا حقاً و الابل كلها ولد الناقة) .

و ذهبت معه ، فقربت إليه شراباً ، فاما كان صائماً ، و إما كان لا يريده فرده فأقبلت على رسول الله ﷺ تضاحكه .

و كان يزورها ، و يزورها معه الصحابة ، و هذا دليل مكانتها عنده ، و صورة من أدب رسول الله ﷺ ، و معاملته لأصحابه و أهـل بيته ، و لمن عاش معه أو اتصل به لسبب من الأسباب .

و لأم أيمن ميزات أخرى تدل على مكانتها فى الاسلام و صدق إيمانها بالله عز وجل .

عن جرير بن حازم قال : حدثنا عثمان بن القاسم قال ، لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء ، فعطشت ، وليس معها ماء ، وهى صائمة ، وجهدت ، فدلى عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض ، فشربت .

و كانت تقول ما أصابنى بعد ذلك عطش ، و لقد تعرضت للعطش بالصوم فى الهواجر فما عطشت (١) .

و جاء فى الحلية عن أبى عمرو بن حمدان قال : حدثنا الحسن بن سفيان ، حدثنا اسحاق بن بهلول ، حدثنا شبابة بن سوار حـدثنا عبد الملك بن حسين أبو مالك النخعى عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزى ، عن أم أيمن قالت :

بات رسول الله — ﷺ — فى البيت ، فقام من الليل فبال فى فخارة ، فقمت و أنا عطشى لم أشعر ما فى الفخارة فشربت ما فيها فلما أصبحنا ، قال لى : يا أم أيمن ، أهريق ما فى الفخارة ، قلت ، و الذى بعثك بالحق شربت ما فيها فضحك رسول الله ﷺ ، حتى بدت نواجذه ثم قال : أما أنه لا يتجعن بطنك

(١) سير أعلام النبلاء ٢/٢٢٣ ، و قال عنه (رجاله ثقات و لكنه منقطع ، و أخرجه ابن سعـد ٨/ ٢٢٤ ، و عنه الحافظ و كذلك فى الاصابة ١٢/١٧٨ ، دلائل النبوة للبيهقى (٦/١٢٥) .

بعده أبداً (١) و فى رواية أخرى (إنك لا تشتكين بطنك بعد هـذا) (٢) و هذه الروايات تدل على شدة صلتها برسول الله ﷺ — و حرصها على خدمته و رضاه — إرضاء لله و لرسوله — و هى تعلم أن محمداً رسول الله حقاً — و أنه المختار من العالمين لحمل الرسالة ، و تبليغها للناس ، و أنه المصطفى من الناس جميعاً ليخاطب من فوق سبع سموات بالوحى ، و ليكون رسول الانسانية جميعاً إلى يوم الدين ، فهو بهـذا ليس كبقية الناس ، بل هو المصطفى منهم ، و المختار من بينهم ، و المكرم ليكون حاملا لأشرف رسالة ، فلا غرابة أن تكون له الخصائص الكبرى و المميزات التى تليق بمقامه و مكانته — ﷺ — و لهذه الحادثة أشباه و أخوات مع صحابة رسول الله ﷺ ، و هى — بإرادة الله و علمه و فضله — شهادة له عليه الصلاة و السلام بالخصائص الكبرى ، و التكريم الالهى الفياض .

وأم أيمن رافقت رسول الله ﷺ منذ طفولته ، بل كانت مولدته وحاضنته و مربيته و خادمته ، ثم كانت معه فى يتمه و شبابه ، و رأت منـه مكارم الأخلاق ، وشيم الكرام ، و بر الصالحين و أخلاق الأتقياء المخلصين .

و حضرت مولد الرسالة يوم أن من الله عليه بالرسالة و أكرمه بحمل هذه الأمانة للناس كافة ، فكانت معه برة ، وفية ، و آمنت و هى تعى ما يعنى الاسلام يوم أن كانت الدنيا مليئة بالظلم و الظلام ، و صبرت على الأذى ،

(١) الحلية ٢/ ٦٧ دار الكتاب العربى .

(٢) الاصابة ٨/ ١٦٩ و علق عليها قائلا (و يحتمل أن تكون هـذه قصة أخرى غير القصة التى اتفقت لبركة خادم أم حبيبة (أم المؤمنين) لكن ابن السكن ادعى أن بركة خادم أم حبيبة كانت تكنى أم أيمن أخذاً عن هذا الحديث .

و أيقنت بوعد الله المحقق لأنها أدركت حقيقة الايمان بالواحد الأحد ، القادر الحكيم الخبير ، الذى بيده الموت و الحياة ، و إليه المصير ، رأت كيف يصبر رسول الله ﷺ ، وكيف يقابل الظلم بالعفو ، و الأذى بالمغفرة ، و الفظاظة باللين و السماحة ، و الطيش بالحلم ، و العدوان بالصبر .

و رأته يوم النزال كيف يصمد الأبطال ، ويثبت حين تتزعزع الجبال . .

رأت من آيات الله و نعمائه بفضل هذه الرسالة و هذا الرسول ما زادها إيماناً و يقيناً .

كانت فى الأوج من درجات الايمان حتى شهد لها رسول الله ﷺ بذلك .

و كانت فى القمة من التضحية والبذل فى سبيل الله ، و كانت زوجة لحب رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ، البطل الشهيد ، و أم أسامة بن زيد حبه أيضاً البطل القائد .

فلا غرابة أن تكون بهذه الصورة البهية فى الايمان والصدق واليقين .

وحين قضى الله لرسوله أن يلقاه ، تزعزع المسلمون من التأثر و الألم ، فبكوا حتى فقدوا صبرهم ، و توهموا أنه — بما أعطاه الله من المنزلة — لن يموت حتى ذكرهم صاحبه و خليفته أبو بكر بقوله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئـاً و سيجزى الله الشاكرين » (١) ثم سكن المسلمون و صبروا ، و نهضوا بالعبء ، و تحملوا المسؤولية و وقفوا فى وجه الارتداد و الشقاق ، حتى أعادوا المرتدين إلى جادة الصواب ، وقضوا على رؤوس الفتنة و دعاة الشقاق والنفاق والشرك . .

و لكن أين أم أيمن فى ذلك كله ؟ .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .

لقد كان له موقف خالد فى هذه الأحداث ، موقف يكشف لنا عن إيمان هذه الصحابية ، و عن شدة وعيها وفهمها لمعنى الرسالة و الرسول ، و عن عميق معرفتها بما تعنيه النبوة ، عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، أن أم أيمن بكت حين مات النبى ﷺ ، فقيل لها : أتبكين ؟ قالت : والله لقد علمت أنه سيموت ، و لكن إنما أبكى على الوحى إذ انقطع عنا من السماء (١) .

و فى رواية أخرى من طريق سليمان بن المغيرة بن ثابت عن أنس قال : قال أبو بكر - رضى الله عنه - بعد وفاة النبى - ﷺ - لعمر ، انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما انتهينا إليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسوله فقالت : ما أبكى ألا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ ، و لكن أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء ، فهيجتنا على البكاء (٢) .

و فى رواية ثالثة (إنما أبكى خبر السماء كان يأتينا غضاً جديداً كل يوم و ليلة ، فقد انقطع و رفع ، فعليه أبكى فعجب الناس من قولها (٣) .

وهذا الخبر له من الدلالات البليغة ما يبين لنا شخصية هذه المرأة المسلمة، و عمق فهمها للدين .

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٢٣ .

(٢) المصدر السابق ، و طبقات ابن سعد ٨/ ٢٢٦ ، و إسناده صحيح ، و فى صحيح مسلم ٢٤٥٤ فى فضائل الصحابة ، و ابن ماجة ١٦٣٥ فى الجنائز ، و أبو نعيم فى الحلية ٢/ ٦٨ .

(٣) كنز العمال ٤/ ٤٨ — ٤/ ٦٠ فى البداية ٥/ ٢٧٤ ، دلائل النبوة للبيهقى (ط . دار الكتب العلمية تحقيق د/ عبد المعطى قلعجى) (٢٦٦/٧) .

إنها تشير أمام الصحابيين الكبيرين أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - إلى معنى غاب عنهما حتى جعلتهما يبكيان .

فرسول الله ﷺ صلة الوصل بين السماء و الأرض ، وكان آخر من يتلقى الوحى من السماء غضاً جديداً ، و بموته انقطع الوحى وغابت عن الأرض تلك الرحمات المنزلات وحياً ، و تلك الآيات التى كانت ترعى بنى البشر ، توضح لهم معالم الهدى ، و تبين لهم آيات الله ، و هى اليوم تتوقف بموته ﷺ .

إنها رزيئة عظمى ولا شك ، رزيئة بموت المختار المصطفى للعالمين ، والمرسل رحمة و نذيراً للناس و هادياً إلى صراط الله المستقيم .

و رزيئة أخرى بانقطاع الوحى ، و توقف الصلة بين السماء و الأرض ..

كان المسلمون يشعرون فى كل حين أن الله معهم ، إذا نسوا ذكروا بوحى من السماء ، و إذا وسوس لهم الشيطان جاءت آيات الله تردهم إلى الصراط المستقيم ، و إذا حدثتهم النفس بأمر ، أو تناجوا بسر كشف الله ما فى نفوسهم ليعلمهم و يهديهم .

فأين اليوم وحى السماء ؟ ! .

بكت أم أيمن وبكى أبو بكر وعمر ، وهيجت أم أيمن الناس على البكاء .

ألا ما أعظم إيمان بركة ، و ما أدق فهمها للاسلام ، و ما أحسن إيمانها الواعى المستنير الذى كان لها ضياء و نوراً .

و موقف آخر يدل على وعى أم أيمن وفهمها لقيمة الايمان و الرجال ...

لما قتل عمر - رضى الله عنه - بكت ، فقيل لها ما يبكيك فقالت : اليوم وهى الاسلام (١) .

وهى بهذا تدل على معرفة و دراية بمواقع الرجال ، فعمر رضى الله عنه ، كان إسلامه عزاً للاسلام و المسلمين و كان موته وهناً للاسلام .

(١) أعلام النساء ١/ ١٢٧ — ١٢٨ و طبقات ابن سعد .

و أم أيمن التى وعت معنى الاسلام كانت تعلم مواقع الرجال ، و قيمة الصحابة ، لانها تزنهم بموازين الايمان و الصدق و الاسلام .

هذه صورة عن هذه الصحابية الكريمة التى عاشت مع النبى حكماً و وليداً وطفلا ، و شاباً و رسولا ثم عاشت مع صحابته فى عهد الصديق وعمر و عثمان رضى الله عنهم وقيل إنها توفيت فى خلافة عثمان .

و لها فى مسند بقى خمسة أحاديث .

و ذكرها ابن حزم فى جوامع السيرة من أصحاب الخمسة (أى خمسة أحاديث) (١) و أنها من أصحاب الفتيا أيضاً .

و أخرج ابن السكن بسند صحيح عن الزهرى .

أنها توفيت بعد رسول الله بخمسة أشهر (٢) و قال عنه صاحب الاصابة أنه حديث مرسل ، و يعارضه حديث طارق أنها قالت بعد قتل عمر ما قالت و هو موصول فهو أقوى ، و اعتمده ابن مندة و غيره ، و زاد ابن مندة بأنها ماتت بعد عمر بعشرين يوماً .

و جمع ابن السكن بين القولين بأن التى ذكرها الزهرى هى مولاة النبى ﷺ ، و أن التى ذكرها طارق بن شهاب هى مولاة أم حبيبة ابن بركة ، و أن كلا منهما كان اسمه بركة وتكنى أم أيمن ، و هو محتمل على بعد (٣) .

و هكذا كانت حياة هذه المرأة حافلة بالمعانى و الصور الرائعة ، حافلة بالمواقف التى تعطى القدوة للنساء ، من أمة كانت تعيش منسية فاذا بها تصبح بفضل الاسلام من شهيرات الاسلام .

(١) جوامع السيرة ص ٢٨٩ . (٢) الاصابة .

(٣) المصدر السابق .

الحج و فوائده الفردية و الجماعية

بقلم : فضيلة الشيخ المفتى فضيل الرحمن هلال العثمانى

جامعة دار السلام ، مانير كوتلا - البنجاب

عندما تكمل روح الطاعة والعبودية فهى تدخل فى مرحلة الحب و الشوق ، وليست فريضة الحج إلا مظهراً إيمانياً رائعاً لكمال روح الاطاعة وحب العبد لربه .

إن التضحية بالنفس و المال فى سبيل الله ، و التخلى عن ملذات الحياة و تنعماتها ، و الابتعاد عن الوطن و الأسرة — كل ذلك يعتبر دلائل عمليـة على صلة العبد بربه ، و إن من يقوم بأداء واجب الحج يبدو مثالا حياً لقول الله تعالى : « و الذين آمنوا أشد حباً لله » (١) و ذلك هو السبب فى أن الله تعالى قد تبرأ من الذى لا يحج بيته رغم القدرة و توافر الظروف المواتية، لأن ذلك يدل على أن قلبه خال من حب الله تعالى ، و مأخوذ بحب الدنيا و حب المال و الثروة و الأسرة و الوطن ، يقول الله جل وعلا : « و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، و من كفر فان غنى الله عن العالمين » (٢) هذه الآية الكريمة تفيد أن عدم القيام بتأدية الحج رغم القدرة و الاستطاعة يعادل الكفر بالله ، و أن الله تعالى برىئ و غنى عمن يرتكب ذلك .

وذلك يدعو الذين يقصرون فى تأدية هذه الفريضة الاسلامية الهامة بالرغم

(١) سورة البقرة : الآية ١٦٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

من قدرتهم و امتلاكهم العـدة و الأسباب ، إلى التفكير فى النتائج السيئة التى قد يمكن أن يسفر عنها سخط الله تعالى فى الدنيا و الآخرة ، والتى قد تصل إلى حرمانهم من العاقبة الحسنى و الخاتمة بالخير و الايمان ، فقد قال الرسول ﷺ : من ملك زادا و راحلة تبلغه إلى بيت الله و لم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً (١) .

إن عظمة الحج تقتضى من الحاج أن يؤدى هـذا الواجب بغاية من الاخلاص و الانابة ، و أن لا يدع أهواء النفس من الرياء و السمعة و حب الظهور تتطرق إلى قلبه ، لأن الاخلاص فى النية هو الذى يتوقف عليه قبول العبادات كلها .

الحج عبادة جماعية ، وحيثما يتجمع أناس ينتمون إلى أنحاء شتى و يحملون عادات مختلفة و طبائع متضاربة ، يخشى أن يثور بينهم نقاش و جدال و نزاع وصراع ، ولذلك أمر الناس بالتجنب الكامل من كل نوع من الشجار والخصومة و الفحشاء بمناسبة الحج « فلا رفث و لا فسوق و لا جدال فى الحج » (٢) و أن يقضوا أوقاتهم كلها فى ذكر الله تعالى فى أيام الحج « و اذكروه كما هداكم و إن كنتم من قبله لمن الضالين » (٣) .

كان الناس فى الجاهلية يشتغلون باللهو واللعب بعد أداء الحج ، وكانت كل قبيلة تتحدث بمفاخر آبائها و عظمائها لتظهر تفوقها على القبائل الآخرى ، لكن الشريعة الاسلامية نهت عن ذلك و أوصدت الأبواب دون كل هذه الخرافات

(١) رواه الترمذى عن على (انظر مشكاة المصابيح - كتاب المناسك) .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

(٣) أيضاً : ١٩٨ .

و الخزعبلات ، و أمرت الناس بمواصلة ذكر الله تعالى بعد الانتهاء من أداء مناسك الحج أيضاً ، يقول سبحانه و تعالى : فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً (١) .

إن الحج يدرب الانسان على الكدح و تحمل الصعاب ابتغاءاً لمرضاة الله ، و يعلمه الاعتزال عن البذخ و الترف و التنعم ، كما أن رحلة الحج تقدم صورة تقريبية عن رحلة الآخرة و وعورتها و صعوباتها ، و إن بدلة الاحرام والاقامة فى عرفات و منى و هتافات « لبيك اللهم لبيك » تذكر الانسان بميدان الحشر .

الحج لا يترك أثره العميق فى الحياة الشخصية و الفردية فحسب ، بل إنه يتمخض كذلك عن فوائد اجتماعية تفوق العد و الاحصاء ، حيث إن المسلمين من أرجاء العالم بأجمعه يجتمعون فى مركز الاسلام و منطلق الرسالة من أجل عبادة الله وحده ، وبذلك تدب فيهم روح طيبة من التآلف و التلاحم والوحدة و التضامن ، و تتلاشى سائر العصبيات و الفوارق - فوارق اللون و العرق و اللسان و الوطن - بفضل حبهم لله و رسوله .

ويمكننا أن نصف التجمع العالمى للحج بأنه صورة أكمل وأشمل للاجتماعات اليومية المحدودة التى تقام لأداء الصلوات الخمس و الجمعة و العيدين ، و ذلك لأن الاجتماعات المحدودة لا تمثل وحدة المسلمين وتضامنهم إلا على نطاق ضيق محدود ، بينما الحج يقدم لنا مشاهد رائعة للوحدة و المساواة و الاخوة العالمية .

إننا نجد فى القرآن الكريم أن الله تعالى حين أمر سيدنا إبراهيم عليه السلام بأن يؤذن فى الناس بالحج ، أردف قوله بكلمة « ليشهدوا منافع لهم » و فى ذلك تنويه بما يحتضنه الحج من فوائد و مكاسب روحية و مادية جليلة .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٠٠ .

احتفال العيد فى الاسلام

بقلم : الدكتور توفيق شامين
تعريب : الأستاذ آتاب عالم الندوى

١ـ الصوم فى الاسلام :

إن الله سبحانه و تعالى أمر المسلمين بالصيام فى شهر رمضان المبارك ، حيث يقول :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون » (١) .

الصوم يحتل مكانة حجر الزاوية فى حياة كل من الفرد و المجتمع ، وهو يوطد ثقتنا بالله سبحانه و تعالى ، وهو فى الواقع تصريح نيل بالخضوع و الانقياد لله عز وجل ، و الصوم يلعب دورا هاما فى تهذيب النفوس و تثقيف سلوكها و تحليتها بمكارم الأخلاق ، إنه يغرس فى سلوكنا وأعمالنا الأمانة و الخلوص ، ويوثق الوشائج و الروابط الانسانية بين الغنى و الفقير و بين القوى و الضعيف ، و إن مزاولة الصوم تمكننا من مواجهة الشدائد و النكبات و مقاومة النوازل و البليات فى حياتنا بكل ثبات و أناة .

و بالاضافة إلى ذلك يذكرنا شهر رمضان المبارك ببعض الأحداث الهامة التى وقعت فى فجر التاريخ الاسلامى ، مثل :

★ نزول الوحى المبارك من القرآن الكريم على رسولنا الكريم ﷺ بدأ فى هذا الشهر .

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٣ .

★ غزوة بدر الكبرى تلك المعركة الفاصلة الأولى التى خاضها المسلمون للصمود فى وجه الهجمات على دينهم و عقيدتهم و الذود عن هويتهم و حريتهم، إنما وقعت فى نفس الشهر .

★ وظهرت فى نفس الشهر عودة المسلمين إلى مكة بعد نقض قريش للاتفاقية و هجومهم على المسلمين .

★ و فى نفس الشهر تقع — حسب ما تضاقرت الأحاديث و الأخبار على ذلك — ليلة القدر ، ليلة الفضل و الكرم ، التى هى خير من ألف شهر بركة و سعادة، و التى نزل فيها القرآن الكريم، حيث يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة و الروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر (١) .

٢— العيد فى الاسلام :

الاسلام يصبغ كل شئ و كل مرفق من مرافق المسلم بالصبغة الدينية الروحية ، و يعزز و ينمى الشعور بروح الدين الأصيلة فى أتباعه فى كل شأن و بكل مناسبة ، و قد تم ذلك فعلا بالوصايا و التعاليم الاسلامية حول توثيق الفطرة و الضمير ، و التعاون فى أعمال العطف و المواساة ، و التعاضد فى النشاطات التى يرجى أنها ستساعد على ازدهار البشرية و تقدمها نحو العدل و الهدوء و السعادة .

المسلمون يحتفلون بالعيد مرتين كل عام ، مرة عند نهاية شهر رمضان ، ذلك ما يعرف بعيد الفطر ، و أخرى عندما يقصدون مكة المكرمة و يكملون

(١) سورة القدر .

حج البيت متجردين عن الأزياء الاقليمية و ظاهرين فى مظهر واحد و مثبتين ثقتهم و إيمانهم بوحدانية الله سبحانه عز وجل :

« قل هو الله أحد، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد » (١).

٣— عيد الفطر فى الاسلام :

يوافينا عيد الفطر كل عام بنهاية شهر الصوم رمضان المبارك ، وهو يوم فرح و متعة و ابتهاج و سرور ، و المسلمون بهذه المناسبة :

★ يحتفلون بنجاحهم فى إخضاع روحهم و بدنهم أمام مرضاة الله عز وجل، و بقائهم طوع أمره و رهن إشارته .

★ و يظاهرون بثباتهم و جلادتهم و بسالتهم التى سعدوا بها بمزاولتهم الصوم فى النهار ، و القيام الفردى و الجماعى فى جنح الظلام، ففى جانب يتجلى الشعور بوجود الله و حضوره أثناء كل عمل من أعمالنا ، و فى جانب آخر يطلب منا التجلد و الثبات على الثقة بالله سبحانه عز وجل فى كل ما يصيبنا من الشدائد و النكبات و الخسائر و المشكلات ، حيث يقول القرآن الكريم نفسه :

« و لنبلونكم بشئ من الخوف و الجوع ، و نقص من الأموال و الأنفس والثمرات، وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولائك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و أولائك هم المهتدون » (١) .

★ ويحتفلون بالعيد وهم يؤكدون ثقتهم و إيمانهم بوحدانية و عظمة الله سبحانه عز و جل ، و يشكرونه على ما أفاض عليهم من نعمة النصر و السعادة و على ما أكرمهم بالهداية والنجاح ، و ذلك من خلال أدعيتهم المتكررة التالية :

« لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، نصر عبده ، أعز جنده ، و هزم الأحزاب وحده » .

(١) سورة الاخلاص . (٢) سورة البقرة الآية ١٥٥—١٥٧ .

« لا إله إلا الله ، لا نعبد إلا الله ، و نحن صادقون و ثابتون على دينه و لو كره الكافرون » .

٤— عيد الفطر جائزة للذين صاموا فى شهر رمضان :

قال النبى ﷺ :

إذا كان يوم العيد قامت الملائكة فى مقدمة طريق الدنيا ، و ينادون :

أيها المسلمون ! تقدموا إلى الله الرحيم الكريم إنه سيعاملكم بالعطف والحنان ، و يمنحكم جائزة قيمة ، إنكم أمرتم بالصوم فى النهار فقد صمتم ، و أمرتم بالقيام فى الليل فقد قمتم فيها ، إنكم أطعتم ربكم فها هى جائزتكم استبشروا بها .

و إذا دعا المسلمون الصائمون ربهم ، نادى مناد : انتبهوا ، إن ربكم فقد غفركم ، فارجعوا إلى بيوتكم كيوم ولدتكم أمهاتكم ، لأن هذا اليوم يوم الجائزة والتقدير .

قال النبى الكريم ﷺ :

من صام رمضان إيماناً و احتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه (١) .

إن المسلمين يؤدون صلاة عيد الفطر - فى عامة الأحوال - مجتمعين فى مكان واحد وفى وقت واحد ، فتوافق الوقت و المكان إنما يصور وحدة الأمة الاسلامية و قوتها و تعاضدها .

و تغلق فى يوم العيد جميع أبواب الكدورة و الفساد للعلاقات المتبادلة ، فكل عيد للفطر يبشر بتجدد الحب المتبادل و عودة التعاون المشترك و التكاتف المتبادل فى سبيل نيل الخير و السعادة و تحقيق الأمن و الوئام .

٥— عيد الأضحى فى الاسلام :

حج البيت من واجبات المسلم الأساسية إذا استطاع إلى ذلك سبيلا ، وقد

(١) رواه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

هيأ الوحى الالهى والتشريع السماوى للحج جوا ، يثير الجد و القصد ، ويثقف النفس و الفكر ، و يحوطه بسياج من العبادة و الروحانية و القدسية ، و من أوضح ملامح الحج و الروح المسيطرة على جميع أعماله و مناسكه ، هو الحب و الهيام و التفانى ، فهو يعزز الحب و الاخوة و يثير عواطف الخير و يعلم الحب و التضامن و الوئام .

ويقع عيد الأضحى فى اليوم بعد إكمال مناسك الحج ، ويحتفل به المسلمون فى جميع أنحاء العالم .

وإن أعياد المسلمين هذه تتضمن ذكريات الأحداث الهامة و المآثر الرائعة فى تاريخ الاسلام بل و فى تاريخ الديانات السابقة ، مثلا :

✤ ✤ قصة إبراهيم و إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، و هجرة إسماعيل و أمه « هاجرة » إلى مكة المكرمة بأمر من الله ، و قصة ثبات هاجرة وبحثها عن الماء .

✤ ✤ قصة إبراهيم و استجابته و تسليمه للأمر الالهى فى التضحية بوحيده ، و قصة قبول إسماعيل وانقياده لأمر والده ، ثم قصة تخليد هذه التضحية وجعلها سنة باقية فى عقبه وأتباعه ، يذبحون أيام النحر و يجددون ذكرى هذا الذبح العظيم ، ويضحون فى سبيل الله ما يشترونه بحر أموالهم :

« و إن من شيعة لابراهيم ، إذ جاء ربه بقلب سليم ، إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ، أ إفكاً آلهة دون الله تريدون ، فما ظنكم برب العالمين ، فنظر نظرة فى النجوم ، فقال إنى سقيم ، فتولوا عنه مدبرين ، فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون ، ما لكم لا تنطقون ، فراغ عليهم ضرباً باليمين ، فأقبلوا إليه يزفون ، قال أتعبدون ما تنحتون ، والله خلقكم و ما تعبدون ، قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه

فى الجحيم ، فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين ، وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين ، رب هب لى من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك ، فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن ياإبراهيم ، قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على إبراهيم ، كذلك نجزى المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين ، و بشرناه باسحاق نبيا من الصالحين ، وباركنا عليه وعلى إسحاق و من ذريتهما محسن و ظالم لنفسه مبين » (١) .

فاذا كان عيد الفطر احتفالا بنزول القرآن الكريم و بشارة ببداية الحكومة الاسلامية ، فان عيد الأضحى احتفال باتمام تلك الحكومة بحجة الوداع للنبى ﷺ بالسنة العاشرة من الهجرة ، إن الله - جلا جلاله و عم نواله - قد اختار نعمة الاسلام و أكملها للبشرية ، و بذلك بلغ نزول الوحى الالهى على خاتم الأنبياء و المرسلين - ﷺ - نهايته ، حيث يقول الله تعالى فى القرآن الكريم :

« اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً (٢) .

و من هنا فان العيدين يحتلان فى الاسلام أهمية كبيرة و مكانة هامة ، و هما فى الواقع احتفال و تذكير بمنن الله ونعمه التى لا تحصى ، كما أنهما وسيلة ناجحة لتوطيد الصلة بين المسلمين و عامة الناس ، و الأعياد أيام نتظاهر فيها بحبنا و عطفنا مع أسرتنا و أصدقائنا و جيراننا و نبدى عطفنا و مواساتنا مع البائسين و المحتاجين .

و الله الموفق و هو هادى السبيل .

(١) سورة الصافات : الآية ٨٣ - ١١٣ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣ .

الدكتور عبد المنعم النمر فى ذمة الله

بقلم : فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوى
عميد كلية اللغة العربية و آدابها بجامعة ندوة العلماء.

توفى فى الأسبوع الثالث من شهر ذى القعدة عالم مصرى جليل و مولف إسلامى معروف الشيخ عبد المنعم النمر بعد ما قضى حياة حافلة بأعمال التعليم و الثقافة و الاجتماع ، كما شغل منصباً سياسياً مؤقراً وهو وزارة الشئون الدينية و الأوقاف فى مصر ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

كان المغفور له من مواليد بلدة دسوق فى مصر ، تلقى تعليمه الابتدائى فى قريته ثم تعلم فى المعهد الدينى فى دسوق ثم فى الجامع الأزهر و بعد إكماله للدراسة اشتغل بالتدريس فى الأزهر و فى أقطار عربية اسلامية مختلفة كما اشتغل بالتحقيق و البحث و أحرز شهاده الدكتوراة عن أحد كبار علماء المسلمين فى الهند و أحد أقطاب السياسة الوطنية فيها وهو الأستاذ أبو الكلام آزاد ، و كان بحثه عنه أول كتاب يبحث جدياً فى هذه الشخصية الوطنية الهندية التى هى علم من أعلام المسلمين ، باللغة العربية ، وقضى الدكتور أكثر من عامين فى الهند مبعوثاً من الجامع الأزهر للتدريس فى جامعة ديوبند الاسلامية فأفاد كثيراً فى مجال تعليم اللغة العربية ، ونشر المعرفة و الوعى الثقافى فى الهند ، و استفاد لنفسه أيضاً و ذلك بدراسة أحوال المسلمين فى هذه البلاد التى هى بمثابة شبه القارة و يسكنها المسلمون فى عدد يربو على عدد كثير من بلاد الأغلبية الاسلامية فى العالم ، و للهند تاريخ إسلامى حافل و مجيد ، فقد حكمها المسلمون بضعة قرون و تركوا فيها آثاراً و مآثر اسلامية جبارة ولم تكن استفادة الشيخ النمر قاصرة فى التاريخ الاسلامى فى الهند بل إنما درسها بحثاً و تحقيقاً و وضع عن ذلك بحثاً ضافياً فى تاريخ الاسلام فى الهند .

ثم استمر الدكتور الشيخ النمر على اتصال ثقافى و أدبى بالهند و بأعلامها ، وفى مقدمتهم سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، و قد زار الهند بعد عودته منها مرتين ، و كان خلال تواجـــده فى الهند يزور ندوة العلماء أيضاً ، ويلتقى بسماحة الشيخ الندوى و أساتذه ندوة العلماء و كان يفيد الطلاب ببعض أحاديثه و محادثاته .

لقد كان الشيخ الدكتور عبد المنعم النمر أستاذاً ضليعاً فى العلوم الدينيـــة و كاتباً إسلامياً و مؤلفاً باحثاً و كان يكتب أحياناً للصحافـــة و قد أشرف على إصدار بعض المجلات الاسلامية منها مجلة الوعى الاسلامى الصادرة من الكويت فقد ساهم فى إصدارها كما ساهم فى إصدار مجلة منار الاسلام الصادرة من أبو ظبى و كان يكتب فى الصحف المصرية و يشارك الباحثين و الدارسين فى منـاقشة الموضوعات العلمية و الاسلامية .

وكان طيب النفس مراعياً لأواصر المودة و الأخوة ، معيناً بالافادة و الاستفادة قوياً فى أداء مسئولياته ، و كان آخر ما كتبه هو ما وجهه من كلمة إلى مؤتمر مجلس الشؤن الاسلامية حول قضية الخليج و ناقش فيها موقف مسئولى الحركات الاسلامية بمصر فى شأنها ، و كان الشيخ الدكتور عبد المنعم النمر قبل ذلك قد حضر المؤتمر الاسلامى الكبير الذى كان دعا إليه الرئيس العراقى صدام حسين سمع منه كلمة للرئاسة التى أبدى فيهـا الرئيس حبه للاسلام و الجهاد فرحب به الحاضرون و أثنوا عليه ثناءاً كبيراً ، و كان منهم الشيخ عبد المنعم أيضاً و لكـنه لما رأى منـــه خلاف ما كان أبدى و تظاهر به و ما قام به من عدوان أعلن الدكتور النمر مخالفته لذلك و عارضه ، فهذا يدل على طلبه للحق و دوره معه حيث دار .

فللشيخ الدكتور منا جميعاً أخلص الدعوات و ندعو الله تعالى أن ينزله فى فسيح جناته و يلهم الباقين الصبر و السلوان و يوفقنا جميعاً لما فيـــه رضاه فانه المنعم الوهاب ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتب حديثـــة

١ــ العناقيد الغالية من الأسانيد العالية

كتاب قيم ألفه المحدث الجليل الشيخ محمد عاشق إلهى البرنى المظـاهرى ، حول تاريخ شيوع الحديث فى شبه القارة الهندية وبيان أعلام المحدثين فيها و ذكر أسانيدهم إلى أصحاب الصحاح الستة ، يحتوى على عشرة فصول و خاتمة : الفصل الأول فى كيفية شيوع الحديث فى شبه القارة الهندية ، و الثانى فى ذكر تأسيس دار العلوم ديوبند ومظاهر علوم سهارنفور مع ذكر من قام بدراسة الحديث فيهما ، والثالث فى تراجم المحدثين الذين تدور حولهم أسانيد الحديث فى الهند ، والفصل الرابع فى ذكر أسانيد المشايخ إلى المحدث الكبير ولى الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى ، و الخامس فى ذكر أسانيد الكتب الستة ، و السادس فى ذكر بعض الزوايا التى لها صلة بالأسانيد ، السابع فى ذكر أسانيد حافظ الحديث محمد عابد السندى ، الثامن فى ذكر الرواة الأحناف الذين وردت أسماؤهم فى الأسانيد ، التاسع فى ذكر الكنى و النسب و الألقاب على ترتيب حروف التهجى ، العـاشر فى ذكر أسانيد المؤلف ، أما الخاتمة فهى تشمل بيان الخدمات التى قام بها مشايخ ديوبند و امتازوا بها .

لا تخفى أهمية الكتاب فى الموضوع المهم الذى يدور حوله ، و حبذا لو كان الكتاب يحتوى على ذكر علماء الحديث من أهل الحديث فى الهند الذين لهم خدمات مشكورة لا تنسى على مر الأيام فى فن الحديث و رجاله ، و لهم من الاشتغال بالسنة و أعمال التأليف والتحقيق ما لا يكتمل تاريخ الهند العلمى بغيره .

ولعل المؤلف الجليل يولى عنايته نحو سد هذا الفراغ ، فى الطبعات القادمة ، و له شكر الأوساط العلمية على هذه الهدية الطيبة .

٢ــ الترجمة من الانجليزية إلى العربية

مناهجها ، و أصولها ،

بقلم : الدكتور معين الدين الأعظمى ، عميد قسم اللغة العربية بالمعهد المركزى للغة الانجليزية و اللغات الأجنبية ، حيدرآباد ، الهند .

لقد نالت الترجمة من لغة إلى لغة مهمة عناية الباحثين و الكتاب ، و أصحاب الدراسات التخصصية منذ مدة غير يسيرة ، إلا أن الترجمة من اللغة الانجليزية إلى اللغة العربية أصبحت ضرورة قصوى فى العصر الحديث ، و خاصة فى الدول العربية التى تتميز بمكانتها الثقافية و العلمية ، و فى الأقسام العربية فى الاذاعات و كليات اللغة العربية فى جامعات الهند العصرية ، و غيرها من المراكز الاكاديمية و التحقيقية ، بحيث لا يستغنى عنها الدارسون والباحثون ، والطلاب ، والموظفون فى الدوائر الحكومية التى تعنى باللغة العربية أو تكون لها صلة بالدول الناطقة باللغة العربية .

فكانت الحاجة أكيدة إلى وضع مناهج و أصول للترجمة إلى العربية تتكفل بالحفاظ على روح العربية فى الترجمة ، و تصونها من الانذياب فى لغة أجنبية أو نقلها بجميع خصائصها و علاتها إلى العربية ، ذاك أن اللغة العربية لها من النضارة البلاغية و المكانة العلمية و القواعد و الأحكام المضبوطة ، ما تتملك به شخصية متميزة ، بخلاف اللغات العالمية الأخرى ، إلا أن هناك مصطلحات سياسية واجتماعية و حضارية و اقتصادية كثيرة منوعة ، تجعل الضرورة إلى ترجمتها إلى اللغة العربية معلومة ، و ذلك لكى يمكن الاطلاع عليها و الاستفادة منها فى الأوساط العلمية و الثقافية بوجه خاص .

و من هنا فقد كان المجهود المخلص الذى بذله الدكتور الأعظمى فى هذا الموضوع موضع شكر و تقدير من جميع الأوساط و المجتمعات فى الهند .

و لمزيد التوضيح للغرض الذى اراده المؤلف بتأليفه هذا القيم نذكر ما قد أشار إليه هو نفسه يقول :

« و قد حاولت أقصى جهدى فى اختيار و انتخاب أحدث المصطلحات السياسية و الاقتصادية و العسكرية و القضائية و العلمية و التكنولوجية و الادارية و الأدبية ، و لكن على نحو يخالف النسق الأول ، و هو الترتيب حسب مختلف حقول المعرفة ، و إنى قد انتخبت معظم العبارات من الجرائد و المجلات ، وشطراً قليلا منها من مختلف أنواع الكتب .

و إنى على يقين تام بأن هذا الكتاب سوف يساعد فى سد متطلبات و احتياجات الطلبة و خاصة منهم الذين لم يدرسوا اللغة العربية بواسطة اللغة الانجليزية ، أو الطلبة الذين هم ضعفاء فى اللغة الانجليزية ، و يواجهون صعوبة متنوعة فى الترجمة ، أو الذين ليست لهم خبرة فى الترجمة » .

٣ــ نبوءات الرسول ﷺ ، ما تحقق منها وما يتحقق

أهدى إلينا الأخ العزيز الأستاذ محمد ولى الله عبد الرحمن الندوى هذا الكتاب القيم الذى يحتوى على بيان نبوءات الرسول ﷺ ، منها ما تحقق و ما يتحقق ، و قد بلغ عددها إلى ١٨٨ نبوءة » .

و الكتاب فى الواقع موضوع رسالة الماجستير التى وضعها المؤلف فى جامعة الأزهر فى مرحلة الدراسات العليا ، و بذل مجهوداً غالياً فى جمع هذه النبوءات من كتب الحديث و التاريخ و السيرة ، فكان منفرداً فى الموضوع ، بل و قد يكون ذا ابتكار علمى إن دل فانما يدل على ذكاء المؤلف الغريز ، و تعمقه فى الدراسة و البحث مما جعل الكتاب هدية علمية تاريخية ، و زيادة قيمة فى موضوع السيرة العطرة .

يتجلى الكتاب بكلمة تقديم لسماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، تشيد بالعمل الاكاديمى الذى قام به الأستاذ محمـد ولى الله الندوى ، و يحسن بنا أن نقف على مقتطف من هذه الكلمة القيمة ، حتى نطلع على قيمة الكتاب و ضرورته فى العصر الحديث : يقول .

« وقد راعنى الشمول والاحتواء فى هذا التأليف ، فقد بلغ عدد النبوءات التى شملها هذا البحث إلى مائة وثمان و ثمانين ١٨٨ ، منها نبوءات تتعلق بالصحابة رضى الله عنهم ، و منها ما يتعلق بالتابعين ومن بعدهم و بما بعد عصر الصحابة ، و من هذه النبوءات ما توجد لها مادة و إشارات فى كتب المحدثين و الشراح القدماء ، إلا أنها تحتاج إلى تخريج ونقد للحديث إسناداً ومتناً ، و مقارنة بين ألفاظ طرق الحديث، ومن هذه النبوءات نبوءات معنوية تتصل بالعصور والأجيال ، و المجتمع المسلم ، وتغير فى الأخلاق و السيرة وتطور الزمان ، ويحتاج الباحث فى إثبات تحققها إلى اطلاع واسع على تاريخ العصور والأجيال الاسلامية .

وتليها نبوءات لم تتحقق بعد ، وهى أدق من الأولى ففيها ما يجعل للباحثين فى هذا العصر ، و العصور التى تليه مجالا للبحث و التحقيق ، و يفتقر الباحث فيها إلى اطلاع واسع على ظهور العادات الجديدة ، والتقاليد الطريفة ، و وقوع التحريف و الانحراف فى الدين ، و الخضوع للمبادىء و المثل غير الاسلامية ، و معرفة المؤشرات و ما يمهد لوقوعها .

و قد كانت الحـاجة ماسة إلى التأليف فى هذا الموضوع لظهور شواهد علمية تطبيقية فى هذا العصر ، وتيسر مصادرها التاريخية ، وعمليات الاكتشافات ، لذلك جاء هذا البحث فى أوانه و مكانه » .

نهنئ المؤلف العزيز على هذه الهدية العلمية المباركة التى أتحف بها أوساط العلم و الدين ، و أضاف إلى المكتبة الاسلامية زيادة قيمة تشكر وتقدر ، وعلى الله التوفيق والسداد .

72866 — 72864
REGD No. LW /NP 56
ALBAAS-EL-ISLAMI

صدر حديثاً :

أبو الحسن علي الحسني الندوي

مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج

دروس وعبر يجب أن ننتفع بها

وفجوات وثغرات يجب أن تسدَّ

ملتزم النشر و التوزيع
دار عرفات للترجمة ، والنشر والتوزيع
دارة الشيخ علم الله ، رائى بريلى (الهند)

قام بالنشر و التوزيع جميل أحمد الندوى من مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء
رئيس التحرير : سعيد الاعظمى

المكتبة العامة لندوة العلماء

مكتبة شبلي النعماني

ندوة العلماء - لكهنؤ (الهند)

نام مصنف	نام کتاب	نمبر
سعید الأعظمی الندوی	البعث الاسلامی ۶ تا ۱۰ جلد ۳۶	۶۵۸۷ ۱۰۵۲۱۴
دستخط		فن جرائد